المقتطف

الجزء الخامس من المجلد التاسع والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٥ صفر سنة ١٣٢٢

القطر المصري واللورد كرومر

لا مشاحة ان للورد كرومر اليد الطولى في النجاح العظيم الذي نجحهُ هذا القطر في عهد لاحتلال البريطاني ۰ ونحن في نسبتنا هذا الفضل اليهِ لا نبخس احداً غيرهُ حقهُ من الفضل لا ن الوطنيين ولا من الاجانب ۰ وقد عودنا اللورد كرومر ان يتحفنا كل سنة بتقرير مسهب يصف فيهِ ما تم في هذا القطر من اعمال الحكومة في السنة السابقة ويذكر ما يراد اتمامهُ بعد لك ۰ وقد جاء تقريرهُ عن العام الماضي اوسع من تقاريرهِ السابقة وتناول مسائل كثيرة مما يتعلق بشؤُون السكان سواءٌ كانوا من رجال الحكومة او من غيرهم فترجمناهُ على جاري عادتنا ووزعناهُ على المشتركين في المقطم ورأينا اتماماً للفائدة ان ننشر خلاصة بعض فصولهِ في لمقتطف ليطلع عليها قراؤُهُ في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار وسنقتصر على الفصول التي مباحثها عمومية تمهد لنا سبيلاً للبحث حين الموازنة بين مصر وغيرها من البلدان الشرقية

(١) الميزانية

لما قدرت ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٩٠٢ جُعلت الايرادات فيها ١١٠٠٠٠٠٠ جنيه مصري فبلغت في آخر السنة ١٢٤٦٤٠٠٠ جنيه وقدِّرت المصروفات ١٠٩٧٥٠٠٠ فبلغت ١١٧٢٠٠٠٠ وقدِّرت زيادة الايرادات على المصروفات ٢٥٠٠٠ فبلغت ٧٤٤٠٠٠

لكن الزيادة كانت اكثر من ذلك كثيراً فانها بلغت ٢١٣٣٠٠٠ جنيه فاضيف ١١٢٤٠٠٠ جنيه منها الى المال الاحتياطي العمومي و٢٦٥٠٠٠ جنيه الى وفر التحويل وبقي منها ٧٤٤٠٠٠ جنيه كما تقدم ۰ وقبل ان نشر التقرير بالعربية تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على ان الحكومة المصرية تفك من القيود القديمة فتتصرف بما في صندوق الدين من الاموال

الاحتياطية والمتوفرة كلها وبكل ايراداتها السنوية بعد ايفاء فائدة الدين. وكان مجموع الاموال المتوفرة في صندوق الدين في بداءة هذه السنة ٢٧٦١٠٠٠ من المال الاحتياطي العمومي و٢١٢٨٠٠٠ من المال الاحتياطي الخصوصي و٥٥٠٧٠٠٠ من وفر التحويل والجملة ١٠٣٩٦٠٠٠ من الجنيهات لكن نحو نصف هذه الاموال مخصص لاعمال عمومية كانشاء سكة حديدية بين سواكن وبربر وما اشبه

(٢) الدين المصري

كان الباقي من الدين المصري في آخر العام الماضي ١٠٢١٨٧٠٠٠ جنيه انكليزي الأَّ ان في صندوق الدين وفي نظارة المالية مبلغ ٨٨٠٤٠٠٠ جنيه فالباقي عند حاملي السندات ٩٣٣٨٣٠٠٠ جنيه. وقد بحث اللورد كرومر في هل الاولى بحكومة مصر ان توفي ديونها بما يزيد من دخلها او ان تنفق الزيادة على الاعمال النافعة التي تزيد دخلها ودخل شعبها واثبت ان الامر الثاني اصلح من الاول وقال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ويحسن ان اذكر في هذا المقام اموراً تتعلق بمسألتين مهمتين تؤثران في مستقبل مصر الحالي الاولى هل حان الوقت للشروع في ايفاء الدين الممتاز والموحد اللذين تساوي قيمة الباقي من سنداتهما ٨٧٠٩٩٧٤٠ جنيهاً انكليزيًّا (١) والثانية من اين يؤتى بالاموال لترقية مصر والسودان في المستقبل

وهاتان المسألتان مرتبطتان معًا ارتباطًا شديدًا لانهُ اذا اوفت الحكومة المصرية ديونها واستدانت اموالاً غيرها لترقية مصر والسودان تجري فيما ارى على الخطاء الذي كان شائعًا في اوائل القرن الماضي حين كان يظن ان من حسن الادارة المالية تعيين مال لاستهلاك الدين ولو لم يزد الايراد على المصروف. وارى ان المقام يحتاج الى بعض الاسهاب في هذا الباب لاني لا اظن الجميع يرون الفرق الجوهري بين ما كان من البلدان كبلاد الانكليز حيث سكك الحديد ونحوها من الاعمال تعملها غالبًا الشركات الخصوصية وما كان كبلاد الهند ومصر حيث كل الاعمال العمومية الرئيسة تنشئها الحكومة

فاذا حسبنا زيادة الدين في مثل هذه البلدان الاخيرة علامة قاطعة على ارتباك ماليتها اخطأنا خطاء فاضحًا وكان حكمنا على ماليتها كالحكم على شركة ناجحة بالاشراف على الافلاس لانها زادت رأس مالها لكي توسع نطاق اشغالها الرابحة. والعبرة بكيفية انفاق المال الذي

---

(١) اما الديون الثلاثة الاخرى وهي دين الدائرة ودين الدومين والدين المضمون فلا بدَّ من ايفائها على توالي الزمن فالاولان يوفيان ببيع الاطيان والاخير بدفع الاقساط السنوية وهي تتضمن مال الاستهلاك

يستدان . فالدين المصري الحاضر معظمهُ عبءٌ ثقيل على البلاد لم يكن منهُ نفع لانهُ كان يستدان ليبذر في غالب الاحيان بخلاف الاموال الطائلة التي صرفتها الحكومة المصرية حديثًا على الاعمال العمومية فاني على يقين تام انها جاءَت بالنفع الكبير وان انفاقها في السبل التي انفقت فيما كان خيرًا من ايفاء الدين بها

واما معرفة مقدار المال الذي يمكن انفاقهُ في المستقبل على الاعمال العمومية الكبيرة النفع في القطر المصري فليست بالامر اليسير . ولكن لا خلاف في ان هذا القطر غير متسع كبلاد الهند مثلاً فلا محل فيهِ لانفاق الاموال التي لاتقع تحت حصر على فتح الترع وانشاء سكك الحديد . نعم ان القطر المصري كثير الخيرات ومصادر الثروة الطبيعية ولكن خيراتهُ ومصادر ثروتهِ محدودة يتيسر بلوغ غايتهما بعد زمن غير بعيد فانهُ يقال بالاجمال ان الاراضي الزراعية في القطر المصري لا تتجاوز حد ما يمكن ارواؤُهُ بماء النيل . فكون اراضي القطر الزراعية محدودة يستلزم ان يكون المال الذي يمكن ان ينفق على الري ويعود بالربح محدودًا ايضًا (وان نكن لم نبلغ هذا الحد بعد) لان الماء الذي يمكن ان يجري في النيل الى القطر المصري محدود لا يزاد ولو عمل المهندسون غاية ما يبلغ اليهِ علمهم لتكثير الوارد منهُ . وهذا الامر عينهُ يستلزم ايضًا ان يكون مد سكك الحديد في القطر محدودًا . اذ لا يكاد يحتمل ان الضرورة تقتضي انشاء خطوط اصلية كبيرة كالخط المهم المار على موازاة النيل الى اصوان بل الخطوط المرجح انشاؤُها في المستقبل القريب هي فروع جانبية تتشعب في البلاد لكي تُنقل بها حاصلات ما يمكن ان يجدَّ من الاراضي الزراعية الى النيل او الى الخط الاصلي الموازي لهُ

والظاهر ان ما ذكرتهُ عن وجود حدّ لمصروفات الري في القطر المصري يصدق ايضًا على نفقات الري في السودان باختلاف يسير فان نطاق الزراعة في السودان متوقف على مقدار الماء الذي يمكن الري بهِ من البحر الازرق والابيض والاتبرة والجاش هذا اذا استثنينا الاماكن المتطرفة جنوبًا حيث يكثر وقوع المطر . ولكن السودان يختلف عن القطر المصري كثيرًا من حيث ما يلزم لهُ من سكك الحديد فان المجال فيهِ واسع جدًّا لها ولكن لا يحسن الاسراع في مدّ سكك حديدية كثيرة فيهِ لاعتبارات مالية ولقلة سكانهِ بالنسبة الى اتساعهِ فليس من الصواب مدها الآن الاَّ في جهة او جهتين معلومتين جليًّا على نوع ما

على انهُ وان يكن مقدار المال اللازم لاستثمار خيرات مصر ومصادر ثروتها غير معلوم الاَّ بوجه التقريب فالاموال التي ستدخل في حوزة الحكومة قريبًا لعمل الاعمال التي يقر الرأي عليها معلومة جيدًا . ومن علمها يتيسر لنا ان نرجح ان كانت الحكومة ستضطر الى الاستدانة

للحصول على اموال جديدة. فلننظر الآن ما هي الاموال التي ستدخل في حوزة الحكومة فنقول

اولاً زيادة الايرادات على المصروفات وقد بلغت في العام الماضي ١٨٦٨٠٠٠ ج. م(١) وستزيد حتماً لسببين الواحد ان الخزينة ستأخذ ٤٦٠٠٠٠ ج. م سنوياً من زيادة الضرائب بسبب انشاء الخزان والآخر ان الدلائل كلها تدل على ان الايرادات ستظل تزيد في كل الفروع تقريباً. هذا من الجهة الواحدة غير ان الزيادة عرضة للنقصان من الجهة الاخرى بسبب زيادة المصروفات اللازمة لبعض الاغراض الادارية المختلفة. ثم ان زيادة الايراد في المستقبل لا تبقى على ما هي اذا اقتضت الضرورة تخفيض الضرائب. وهذه الامور كلها غير معلومة الآن وانما المعلوم هو ان زيادة الايرادات على المصروفات ستكون كثيرة حتماً ولكن مقدار هذه الزيادة يتوقف على الخطة التي تتبعها الحكومة من حيث الاصلاح المالي والاداري

وثانياً ان في صندوق الدين ١٢٥٤٠٠٠ ج. م ومبلغاً من المال الاحتياطي العمومي كان في ٣١ دسمبر الماضي ٩٦٧٠٠٠ ج. م ولم يخصص لشيء ومجموع ذلك ٢٢٢١٠٠٠ ج. م ولكن هذا المال ليس تحت تصرُّف الحكومة على نوع ما لانهُ وان كان مالاً طائلاً يفضَّل ان يبقى ضماناً لايفاء فائدة الدين. ومهما يكن من الامر فلا بد من بقاء مال طائل تحت تصرُّف اعضاء صندوق الدين دائماً على سبيل مال احتياطي يمكن استعمالهُ حالاً عند الحاجة اليهِ

وثالثاً ان الباقي من الاحتياطي الخصوصي ١٥٧٥٠٠٠ ج. م وهو تحت تصرُّف الحكومة وهذا ليس من الاموال التي يعتمد عليها في ما نحن بصددهِ وهو سيزاد في السنوات التالية من زيادة الايرادات على المصروفات ولكنهُ الآن اقل من المبلغ الذي يراد انفاقهُ على انشاء سكة الحديد بين بربر وسواكن لان الاموال اللازمة لتلك السكة ستؤخذ من الاحتياطي الخصوصي كما مرَّ ذكرهُ

ورابعاً وفر التحويل وقد بلغ في ٣١ دسمبر الماضي ٥٥٠٧٠٠٠ ج. م وهو لا يمكن مسهُ من غير مصادقة الدول ومع ذلك احسبهُ من اموال الحكومة لانهُ لا يكاد يحتمل ان النظام الحالي المختل الموجب لتراكم هذا المال يدوم الى الأبد. وقد زاد هذا المال ٥١٦٠٠٠ ج. م في العام الماضي وسيبلغ اخيراً مبلغاً يتوقف على طول الزمن الذي يترك فيهِ يتراكم بفائدة مركبة وعلى اسعار السندات المصرية وهو يعدُّ الآن مالاً للاستهلاك ولكن على وجه قبيح موجب للتبذير والاسراف لان الحكومة المصرية تستهلك بهِ دينها بشراء سنداتها باسعار

---

(١) وهذا يشمل ١١٣٢٠٠٠ ج. م دفعت لصندوق الدين وحسبت من المال الاحتياطي العمومي ولكنهُ لا يشمل ٢٦٥٠٠٠ ج. م دفعت الى وفر التحويل

لى من سعرها الاصلي في الغالب

وخامساً ان تصفية الدائرة السنية متى تمت سنة ١٩٠٥ تكسب الحكومة مالاً لا يقل عن ٣٠٠٠٠٠ ج٠م بل ربما زاد عن ذلك لكنها تلتزم ان تدفع معاشات سنوية تبلغ في ول الامر ٥٠٠٠٠ او ٦٠٠٠٠ جنيه

وسادساً اذا صُفّي الدومين سنة ١٩١٥ انتقلت بعض اراضيهِ الى الحكومة وثمنها يساوي سب التقدير الحالي ١٥٠٠٠٠٠ ج٠م او ٢٠٠٠٠٠٠ على ما اظن ولكن الحكومة تلتزم قابل ذلك ان تعطي مستخدمي الدومين مالاً قليلاً على سبيل التويض٠ فاذا غضضنا النظر عن زيادة الايرادات على المصروفات في السنين المقبلة وعن الاحتياطي اللازم جعلهُ ضماناً لحاملي سندات الدين بقي معنا ثمانية ملايين ونصف (٢/١ ٥ من وفر التحويل و٣ من الدائرة) وهذه تدخل في حوزة الحكومة بعد زمن قصير لتنفق على الاعمال ذات الريع كانها راس مال لها. ثم انهُ يزيد عند الحكومة ايضاً مليونا جنيه من تصفية الدومين سنة ١٩١٥

لانقول ان الحكومة المصرية لاتحتاج الى اقتراض مال مطلقاً في مستقبل الزمان وانما نقول انهُ يتضح من الارقام السابقة انها اذا احسنت تدبير اموالها سهل عليها ان تنفق ما تشاء من الاموال علي الاعمال النافعة في المستقبل القريب من غير ان تستدين شيئاً

ومرادي الآن ان ابين ان سلوك هذا السبيل ميسور لابناء العصر الحاضر بلا خوف من زيادة اثقال الضرائب على كاهل ذريتهم في المستقبل . فغني عن البيان ان صرف الاموال على الاعمال النافعة يفيد ابناء المستقبل ولكنا بقطع النظر عن ذلك نجد ابناء الزمان المقبل يستفيدون من وجوه اخرى وهي

اولاً ٣٤٠٠٠ ج٠م كل سنة تدفع الآن الى الدائرة السنية عن دين الدائرة الخاصة القديمة ويبطل دفعها سنة ١٩٠٥

ثانياً سنويات يبلغ مجموعها ١٢٠٠٠ ج٠م وهي تدفع الآن الى صندوق الدين وينتهي دفعها بين سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩١٥

ثالثاً مال المقابلة (١) وقدرهُ ١٥٠٠٠٠ ج ٠ م كل سنة وهذا ينتهي دفعهُ سنة ١٩٢٠

رابعاً ٥٧٠٠٠ ج ٠ م تدفع الآن الى صندوق الدين كل سنة عن دين سكك الحديد وينتهي دفعها سنة ١٩٣٣

---

(١) مال المقابلة عبارة عما يدفع سنوياً للذين اغتروا بوعد الحكومة العرقوبي في عهد اسمعيل باشا فدفعوا اليها مالاً بناء على ان تخفض لهم اموال الاطيان الى نصف ما كانت عليهِ مقابل دفعهم ذلك المال

خامساً الاقساط السنوية التي تدفع الآن لسد مصروفات انشاء الخزان وقد كان القسط منها ١٥٣٠٠٠ ج ٠ م وهذه ينتهي دفعها سنة ١٩٣٣

سادساً اقساط الدين المضمون وقدر القسط منها ٣٠٧٠٠٠ ج ٠ م وهذه ينتهي دفعها سنة ١٩٤٨

ومجموع هذه المبالغ الستة ٦٧٩٠٠٠ ج ٠ م

وزد على ذلك ان امتياز ترعة السويس ينتهي سنة ١٩٦٨ لانهُ لتسع وتسعين سنة ويحق للحكومة المصرية حينئذٍ ان تأخذ الترعة على شرط ان تدفع للشركة قيمة المواد المختصة بخدمة القنال البحرية ٠ ويظهر من حسابات القنال الاخيرة المنشورة عن سنة ١٩٠٢ ان ايراد الشركة بلغ نحو ٣٨٠٠٠٠٠ ج ٠ م وقلما يحتمل ان مالاً بقدر هذا يكون من نصيب الخزينة المصرية ٠ ولكن زمان البحث في هذه المسألة لم يحن الآن بل الحكم فيها يكون لاولادنا او لاحفادنا ٠ وانما ذكرت ذلك للزيادة في اثبات ما قلتهُ من ان ابناء المصريين سيكونون في حالة من اليسر ورخاء العيش تغني ابناء هذه الايام عن الاهتمام بأمرهم في ما نحن بصددهِ الآن

وخلاصة ما يستنتج مما تقدَّم من الاعتبارات انهُ ما دام عند الحكومة ما ذكرنا من الاموال وما دامت ايراداتها تزيد الآن على مصروفاتها وما دامت ايراداتها تزداد ايضاً وتتعاظم على توالي الاعوام وما دام كثير من الاموال التي تدفعها الخزينة المصرية سيبطل دفعها لهُ في المستقبل فلا محل للتردد مطلقاً في رفض كل ما يقال عن تعيين مال لاستهلاك الدين غير الذي يستهلك بهِ وفي بذل كل ما يتيسر من المال على الاعمال ذات الريع ولكن على شرط ان تدرس مشروعاتها حق الدرس وان يجاد النظر فيها قبلما يقر الرأي على اخراجها من القوة الى الفعل"

هذا وقد جاء الاتفاق بين انكلترا وفرنسا مؤيداً لما يرتئيهِ اللورد كرومر من خطإ السياسة المالية التي تقيد مصر بتحديد نفقاتها ضمن حدود لا تتعداها وخزن ما يزيد من دخلها في صندوق الدين حتى يتراكم بعضهُ فوق فان هذه السياسة كانت لازمة في زمن العسر والتبذير واما في زمن الرخاء والتدبير فصار ضررها اكثر من نفعها

ثم ان اللورد بيَّن بالادلة الكثيرة ان زيادة الدخل على النفقات ستزيد عمَّا هي عليهِ الآن وذلك بزيادة الدخل نفسهِ وبزوال جانب من النفقات التي تنفق لاغراض محدودة واذا عُملت الاعمال العمومية النافعة بالاموال المتوفرة الآن وبما يزيد من الدخل عاماً بعد عام زاد دخل الحكومة ايضاً ٠ ولا بدَّ من ان يسأل سائل ترى ماذا تفعل الحكومة اخيراً بما يزيد لديها من الاموال والجواب لا تتعذر معرفتهُ على احد وهو انها تبذل المال في ما يزيد بهِ دخل الاهلين وراحتهم ورفاهتهم وهذا هو الغرض الاول من كل حكومة منتظمة

فلسفة سبنسر

ابنا في الجزء الماضي ماهية العلوم ونسبة الفلسفة اليها واهتمام سبنسر بجعل الفلسفة علماً ناملاً للعلوم كلها اي بجعلها علم العلوم كما قال لنا احد علماء مصر بعد ان قرأ ما كتبناهُ في لجزء الماضي

ويظهر مما كتبهُ سبنسر عن نفسهِ ومما كتبهُ غيرهُ عنهُ انهُ لم يقصد باديء بدء البحث عن لسفة الاشياء اي عن الاصول العامَّة التي تُرَدُّ اليها حوادث الكون بل كان يبحث عن نسبة الاسان الى المملكة ونحو ذلك من المباحث الاجتماعية فاقتيد استطراداً الى البحث عن ارتقاء الاسان شخصيًّا وعن ارتقاء جماعاتهِ اي عن ارتقائهِ بنوع خاص وبنوع عام · ويظهر من الرسائل الاولى التي كتبها عن "مدار الحكومة" انهُ رأى من اول الامر ان اجتماع الناس بائل وممالك تابع لناموس طبيعي فليس هو مما يحدث بفعل فاعل وانما هو نمو طبيعي يتدرَّج بعاً لنواميس الطبيعة · ورأى ما رآه الفلاسفة الالمانيون قبلهُ وهو ان في الحياة ميلاً الى لتفرُّد اي ان الجسم غير الحي لا يكون متفرداً بل يكون مثل غيرهِ من نوعهِ فقطعة الرخام مثل غيرها من قطع الرخام وشذرة الذهب مثل غيرها من شذور الذهب واما الجسم الحي سواءٌ كان نباتاً او حيواناً فلهُ ذاتية متفرّد بها ولذلك لا يماثل حيوانٌ حيواناً آخر في كل شيء ولا بات نباتاً آخر بل كل من افراد الحيوان والنبات متفرّدِ بنفسهِ · وكلما زاد الحيُّ ارتقاءً زاد تفرُّدهُ ظهوراً كأن التفرُّد غاية كل ارتقاء في الموجودات

ثم رأى لدى امعان النظر ان خاصة التفرُّد هذهِ تنحل الى فعلين متصلين الواحد يميل لى فصل الفرد عن غيرهِ من الافراد والثاني الى زيادة تركيبهِ . والفعل الذي نسميهِ ارتقاءً يشتمل على امرين الواحد اختصاص عام مع ازدياد في التركيب والثاني استقلال متبادل بين الاجزاء المتفرّدِة من الجسم الحي

فالارتقاء او النشوء كما يسمّى الآن علمهُ سبنسر وعرَّفهُ بانهُ فعل مزدوج يقوم بالتخصيص مع ما ينتج عنهُ من زيادة التركيب والتعميم مع ما ينتج عنهُ من زيادة الوحدة · وكان اكثر بحثهِ اولاً في التخصيص الطاريء على الموجودات وحاول في مقالتهِ عن الارتقاء وناموسهِ وسببهِ ان يتوسع فيهِ ويعلل بهِ الارتقاء العام جارياً في ذلك مجرى العالم بير الذي قال ان سلسلة التغيرات التي تتغيرها البزرة حتى تصير شجرةً والبيضة حتى تصير حيواناً انما هي ارتقاءٌ من التماثل في البناء الى التباين فيهِ · فاتخذ سبنسر ذلك قاعدة لبحثهِ وقال انهُ قاعدة لكل ارتقاء

اي ان الارتقاء في انواع النبات والحيوان والاخلاق والعادات والعلوم والفنون وكل ما يتصل اليهِ بحث الانسان مدارهُ كلهُ على الانتقال من المتماثلات الى المتباينات · فالجماد دقائقهُ كلها متماثلة – ذرة الهواء مثل ذرة الهواء ونقطت الماء مثل نقطة الماء وقطعة الذهب مثل قطعة الذهب ثم يظهر الاختلاف في النبات ويكون قليلاً في انواعهِ الدنيا فتتألف اغصانهُ من حويصلات متماثلة ثم يزيد في انواعهِ العليا فيصير فيهِ ورق وزهر وثمر ويكون في الزهر كاس وتاج واعضاء تذكير واعضاء تأنيث وفي الثمر قشر ولب وبزر وهلمَّ جرًّا ولكن تبقى مزاياهُ في كل اجزائهِ تقريباً على السواء فاذا قطعت غصناً منهُ لم يمت بقطعهِ واذا غرستهُ عاش ونما وصار شجرة مثل الشجرة التي قُطع منها وكذلك الحيوانات الدنيا كالاسفنج فانها مثل النباتات من هذا القبيل متماثلة الاجزاء وقوة النمو والتولد قائمة في كل جزء منها بخلاف الحيوانات المرتقية فانها انقسمت الى ذكور واناث جرياً على ناموس تقسيم الاعمال لزيادة اتقانها ولكل عضو من اعضائها شكل خاص بهِ ووظيفة يقوم بها فالقلب لا يشبه المعدة ولا يفعل فعلها واليد لا تشبه الدماغ ولا تفعل فعلهُ واذا قُطع عضوٌ من هذه الاعضاء فقد حياتهُ سريعاً

وهذا شأن العادات والعلوم والفنون وسائر اعمال الناس وتراتيبهم مثال ذلك اعداد الطعام وعمل الثياب فقد كان الرجل وزوجتهُ يحرثان الارض ويزرعان الحنطة ويحصدانها ويدرسانها ويطحنانها ويخبزانها ويرعيان الغنم ويجزان صوفها ويغزلانهِ ويحيكانهِ ويخيطان الثياب منهُ وكان غيرهما يفعل فعلهما فتوزعت الاعمال بازدياد العمران فصار لكل من الحرث والزرع والحصاد والدراسة والطحن والعجن والخبز اناس يعملونها وقس على ذلك سائر الاعمال

وكان ابو العائلة حاكمها وقاضيها وكاهنها وطبيبها فتوزعت هذهِ الاعمال على اناس مختلفين استقلَّ كل منهم بعمل دون غيرهِ ولا يزال التخصيص يقوم مقام التعميم في هذهِ الفروع فقد كان الطبيب الواحد يتعاطى الطب والجراحة ومعالجة العيون والاذان وامراض النساء والاطفال فصار لكلٍ من ذلك طبيب خاص بهِ · وهذا هو المراد بالانتقال من التعميم الى التخصيص في الطبيعة كلها ومن التماثل الى التباين

ولما رأى سبنسر ذلك قال انهُ اكتشف ناموس الارتقاء لكنهُ رأى لدى امعان النظر ان الانتقال من التماثل الى التباين لا يشمل كل اساليب الارتقاء بل يشمل بعضها او اظهرها وان بعض ما يشملهُ ليس من الارتقاء في شيء بل هو انحطاط وانحلال كتولد السرطان في الجسم وحدوث الثورة في البلاد · وبعد بحث طويل في هذا الصدد عرَّف الارتقاء تعريفهُ المشهور وهو انهُ "تجمُّع في المادة يصاحبهُ تفرُّق في القوَّة تنتقل بهِ المادة من شكل متماثل

الاجزاء غير محدود ولا متصل الى شكل متباين الاجزاء محدود متصل ويتغير شكل القوة التي فيهِ في غضون ذلك تغيرًا موازيًا لهُ "

لكن الفلسفة لا تكتفي بالامور الاستقرائية بل تتطلَّب القياس اي الوصول الى المقدمات اليقينية والتوصُّل منها الى النتائج على طريق القياس وهو الفلسفة التركيبية التي وضعها وقضى العمر في بسطها وتطبيقها على الموجودات بعد ان استخرج المقدمات الاولى او المبادئ الاولى التي تبنى عليها فصار بها تاريخ الكون خبرًا معقولاً جاريًا على مقتضى العقل بعد ان كان فروضًا لا دليل على صحتها. ومن هذه المبادئ الاولى ان الشيء المحدود المتماثل الاجزاء لا يثبت على حالهِ لان اجزاءهُ لا تكون معرَّضة للقوى الخارجة عنهُ على حدٍ سوى. فالجسم الذي تقع عليهِ القوة يقسّمها وينوّعها والتقسيم يميل الى فصل الاجزاء المتخالفة وجمع الاجزاء المتماثلة فيزيد تنويع الاشياء. وهذهِ الحقائق اي عدم ثبوت الاشياء المتماثلة وتنويع الاشياء وتقسيمها فروع من ناموس اصلي ونتائج من ثبوت القوة في شكليها المادة والحركة وهنا تلتقي حلقة القياس بحلقة الاستقراء

وكتب سبنسر الى الاستاذ هدصن كتابًا شرح لهُ فيهِ كيفية تدرجهِ في الفلسفة التركيبية (او القياسية لانها مبنية على القياس) لخصهُ الاستاذ هدصن فقال:

ان جرثومة فلسفتهِ ظهرت اولاً في كتابهِ الانتظام الاجتماعي حيث ذكر في الفصل المعنون بامور عامة حقيقة بيولوجية مفادها ان الانواع الدنيا من الحيوان مؤلفة اجسامها من اجزاء متماثلة لا يتوقف بعضها على بعض واما الانواع العليا فاجسامها مؤلفة من اعضاء مختلفة يتوقف بعضها على البعض الآخر وقد قال ان هذا كان نتيجة استقرائية وصلتُ اليها في غضون دروسي البيولوجية ويخال لي الآن ان اكثر ذلك كان وانا اسمع خطب الاستاذ اوِن على هيا كل الحيوانات الفقرية. وهذا الامر يصدق على جماعات الناس فانها تبتدئ باجزاء متماثلة لا يتوقف بعضها على بعض. ووصل الى هذه النتيجة بالاستقراء ايضًا ثم من الجمع بين هاتين النتيجتين فنتج نتيجة ثالثة وهي " ان الفرد من افراد الاحياء والفرد من افراد الجماعات خاضعان لناموس واحد على حدٍ سوى "

فادنى انواع الحيوانات اجسام هلامية متماثلة الاجزاء لا يتوقف جزءٌ منها على الجزء الآخر لانهُ يفصل فيبقى حيًّا وتبقى فيهِ صفات الجسم كلهِ كما تفصل نقطة الماء من بركة وتكون فيها كل خواص ماء البركة. واعلى انواع الحيوانات الانسان اجزاؤُهُ متخالفة غير متماثلة بل متفردة فلكل جزء منها صورة خاصة بهِ اليد غير الرجْل والقلب غير الطحال ولكنها غير مستقلة بل

يتوقف بعضها على بعض اليد لا تعيش وحدها والقلب لا يعيش وحدهُ . وهكذا جماعات الناس كانت في اول عهدها والناس على الفطرة مؤلفة من افراد متماثلين كل واحد مثل الآخر من حيث نسبتهُ الى المجتمع ولا يتوقف احدهم على الآخر في معيشتهِ وسائر احوالهِ فيصنع طعامهُ ويبني بيتهُ و يدافع عن نفسهِ يفعل ذلك كلهُ وحدهُ ثم تولدت الفروق بين افراد المجتمع فصار بعضهم حكاماً وبعضهم جنوداً و بعضهم حرَّاثاً وبعضهم صنَّاعاً وصار بعضهم يتوقف على البعض فلا غنى للملك عن الجنود والحرَّاث والصنَّاع ولا غنى للصناع عن الملوك والجنود والحرَّاث وهلمَّ جرًّا . وقد اتصل سبنسر الى هذه النتائج قبل سنة ١٨٥٠ ثم لما اطلع بعد سنتين على الناموس الذي وصل اليهِ فون بير وهو ان الحياة ميل من التماثل الى التباين رأى في هذا اللفظ المختصر ما يعبر عن مرادهِ كلهِ فاعتمد عليهِ

ثم رأى ان هذا الناموس عام يشمل كل الموجودات فقال في نفسهِ ما هو سبب ذلك ولدى امعان النظر رأى ان كل الاسباب يمكن ردها الى سبب واحد وهو بقاء القوة اي ان القوة لا تتلاشى مهما تغيرت صورها وكيفياتها فابتدأ بالاستقراء وانتهى باصول او اوليات تبنى الاحكام عليها بالقياس المنطقي . وقال في هذا الصدد «اني كنت لا اكتفي بنتيجة وصلت اليها بالاستقراء مالم اصل فيها الى المبادىء الاولى ولا اكتفي بالمبادىء الاولى حتى احققها بحوادث الاستقراء» . وهذا معنى قولنا ان فلسفتهُ جمعت بين القياس والاستقراء . ولما وصل الى المبادىء الاولى وضع فيها كتاباً خاصاً سماهُ المبادىء الاولى شرع في تأليفهِ سنة ١٨٦٠ ونشر حينئذٍ منشوراً اعرب فيهِ عن عزمهِ على اصدار سلسلة من الكتب تتضمن خلاصة ما وصل اليهِ الناس من الحقائق العلميَّة طبيعيَّة كانت او عقلية لكي يبين الرابطة الفلسفية التي بينها ويبني عليها فلسفة جديدة

وكتاب المبادىء الاولى قسمان موضوع القسم الاول ما لا يُعرف وفيهِ فصول عن الدين والعلم وكون المعارف كلها نسبية . وموضوع القسم الثاني ما يعرف وهو اربعة اخماس الكتاب وفيهِ فصول كثيرة عن مبادىء الفلسفة وما يتعلق بها من البحث عن المكان والزمان والمادة والحركة والقوة وخواصها كلها حتى تصل الى المبادىء الاولى وفيهِ فصول مسهبة عن النشوء او الارتقاء ونواميسهِ ومدلولاتهِ . والغرض من ذلك كلهِ الوصول الى المبادىء الاولى في ما يقع تحت البحث فلما وصل اليها بنى عليها فلسفتهُ التركيبية ووضع فيها كتباً كثيرة . وقد لا يتضح مرادنا الاَّ بايراد فصول من كتبهِ وسنفعل ذلك في الاجزاء التالية

الراديوم وتوابعهُ

الشغل الشاغل للصحف السياسية في هذه الايام حرب الروس واليابان فترى مقالاتها واخبارها وتلغرافاتها وكل مباحثها مبنية على هذه الحرب وما تأول اليهِ . والشغل الشاغل للمجلات العلمية الراديوم وما يماثلهُ من العناصر التي كشفت حديثًا وما ينتظر منها من تغيير الآراء العلميَّة والاعمال الصناعيَّة والاساليب العلاجيَّة ولذلك لانجد مناصًا من العود الى هذا الموضوع في كل جزءٍ من اجزاء المقتطف لا سيما وان المكتشفات فيهِ كثيرة متوالية . وقد وقفنا الآن على مقالة مسهبة في هذا الموضوع للاستاذ مليكان الاميركي من اساتذة مدرسة شيكاغو الجامعة نشرها في مجلة العلم العام الاميركية وبسط فيها الكلام احسن بسط فرأينا ان نعتمد عليها في كتابة ما يلي

تمتاز بعض الازمنة بانتشار الروح العلمية في جوها كما حدث في بداءة القرن التاسع عشر حينما قام دلتون الكيماوي وبحث في المادة بحثًا مبنيًّا على الامتحان وقام رمفرد وبحث عن ماهية الحرارة والنور وينغ وبيَّن ماهية النور

اشعة رنتجن

وقد ابتدأ القرن العشرون وهذه الروح مبثوثة في جوهِ ابتدأت باكتشاف اشعة رنتجن في اواخر سنة ١٨٩٥ فقد بيَّن الاستاذ رنتجن ان بعض الاشعة الكهربائية تفعل فعل النور في رسم الصور على الالواح الفوتوغرافية ولكنها تختلف عن اشعة النور في كونها تخترق الاجسام التي لايخترقها النور عادة كاللحم والجلد والخشب فترى بها عظام الانسان داخل لحمهِ . وقد كان لهذا الاكتشاف وقع عظيم في النفوس فدوت بهِ المسكونة في شهر من الزمان وكتبنا عنهُ في المقتطف الصادر في غرة شهر فبراير سنة ١٨٩٦ ما نصهُ

"اكتشف الاستاذ رنتجن من اساتذة مدرسة ورزبرج الجامعة طريقة لتصوير العظام داخل الانسان ولتصوير الاجسام المعدنية وهي في الصناديق الخشبية وذلك انهُ وجد بين اشعة النور اشعة تنفذ اللحم والخشب وتؤثر في الالواح الفوتوغرافية كما يؤثر فيها النور النافذ من الزجاج ولكنها لاتنفذ العظام ولا المعادن فاذا وضع الانسان يدهُ في طريقها نفذت لحمهُ ولم تنفذ عظامهُ فترسم صورة العظام كما لو كانت مجرَّدة من اللحم وهذا من ابدع المكتشفات الحديثة واغربها" . ثم رسمنا في الجزء التالي صورة يد انسان كما ترى بهذه الاشعة . ولم يهتدِ العلماء الى حقيقة هذه الاشعة مع كثرة بحثهم عنها غير ان البحث اقتادهم الى اكتشاف امور كثيرة كما سيجيء

(١) الاشعاع الفعَّال

ظهر اولاً ان الانبوب الكهربائي الذي تتولَّد منهُ اشعة رنتجن يكون فيهِ نور اصفر ضارب الى الخضرة . وقد عُلم قبل ذلك ان مثل هذا النور يتولَّد من بعض المعادن ولا سيما من الاورانيوم ومركباتهِ سواءٌ وضعت في انبوب مفرغ من الهواء وجرت عليها الكهربائية او عُرضت لاشعة الشمس التي لا ترى بالعين وهي الاشعة الكيماوية التي في اعلى الطيف . فخطر لبعض العلماء ان اشعة رنتجن من نوع هذه الاشعة وقام الاستاذ هنري بكرل الفرنسوي يمتحن ذلك فوجد انهُ اذا وضع الاورانيوم في نور الشمس الساطع ثم لُفَّ اللوح الفوتوغرافي بورق اسود ووضع تحت الراديوم خرجت من الراديوم اشعة تخرق الورق الاسود وتؤَثر في اللوح الفوتوغرافي . ثم وجد انهُ يصدر من الاورانيوم اشعة تؤَثر في الالواح الفوتوغرافية ولو لم يعرض لنور الشمس . ولا بدَّ من مرور ايام كثيرة قبلما يفعل الاورانيوم هذا الفعل ولكنهُ يفعلهُ ولو في غرفة مظلمة لا شيءَ فيها من النور فثبت من ذلك ان عنصر الاورانيوم يشعُّ نوعاً من الاشعة يخرق الاجسام المظلمة كما تخرقها اشعة رنتجن ويفعل فعلها

ويقال ان بكرل اهتدى الى اكتشاف هذه الحقيقة اتفاقاً فان الشمس احتجبت بالغيوم اياماً متوالية في مدينة باريس فاضطر ان يضع الاورانيوم واللوح الفوتوغرافي في درجهِ الى ان تنقشع الغيوم وتشرق الشمس ويعود الى التجارب . ولما اعتدل الهواء وبانت الشمس اخرج الاورانيوم واللوح الفوتوغرافي ليعرضهما لها ولكن خطر على بالهِ ان يمتحن اللوح اولاً بمظهر الصور فامتحنهُ فوجد ان الاورانيوم قد اثر فيهِ وهو في الظلام باشعة تتولد منهُ ثم وجد ان كل مركبات الاورانيوم تفعل فعلهُ فسمَّى هذه الاشعة باشعة الاورانيوم وسماها غيرهُ باشعة بكرل . ووجد ان لهذه الاشعة خاصة اخرى غير التأثير في الالواح الفوتوغرافية وهو انها اذا مرَّت في غاز جعلت ذلك الغاز موصلاً للكهربائية ولذلك اذا أُدني منها جسم مكهرب فرَّغت الكهربائية منهُ

اكتشاف الراديوم

وبعد اشهر قليلة اخذت امرأَة فاضلة اسمها مدام كوري (متعلقة بالمباحث العلمية بالاشتراك مع زوجها) تبحث في كل العناصر المعروفة لترى هل منها عنصر يفعل الفعل الذي اكتشفهُ بكرل في الاورانيوم فوجدت ان هذا الفعل يوجد ايضاً في عنصر الثوريوم وحدهُ ومركباتهِ فسميت الاشعة اشعة بكرل والاجسام التي تشعها اجساماً مشعة فعالة (راديو اكتف) وقد اقتصرنا على كلمة مشعة في التعبير عنها بالعربية

ورأت ايضاً امرًا اذهلها وهو ان المعدن الذي يستخرج الاورانيوم منهُ اقوى من الاورانيوم نفسهِ على التاثير في الالواح الفوتوغرافية وعلى تفريغ الكهربائية فقالت ان ذلك ليس ناتجًا عن وجود الاورانيوم فيهِ بل عن وجود عنصر اخر افعل من الاورانيوم وهذا العنصر غير معروف لانها امتحنت قبلاً كل العناصر المعروفة فلم تجد هذه الخاصية فيها فاخذت من ساعتها تحلل هذا المعدن وتستخرج العناصر الموجودة فيهِ وهي كثيرة كالاورانيوم والباريوم والرصاص والنحاس والزرنيخ والانتيمون وكانت تمتحن الباقي كلما استخرجت منهُ عنصرًا من هذه العناصر فتجدهُ يزيد فعلاً وبعد تعب كثير وعناء شديد تمكنت من استخراج قمحتين من عنصر جديد من مئات من القناطير وهو عنصر الراديوم الذي دوت بذكرهِ المسكونة . ووجدت ان في القمحة منهُ من القوة على تفريغ الكهربائية والتأثير في الالواح الفوتوغرافية قدر ما في مليون وثمانمئة الف قمحة من الاورانيوم

دقائق الاشعة السلبيَّة

وثبت من بحث دقيق لا محلَّ لهُ هنا انهُ يخرج من القطب السلبي دقائق صغيرة تشع منهُ على خطوط مستقيمة بسرعة فائقة وهي ليست جواهر فردة ولا جواهر مادية بل اصغر منهما كليهما حجم الدقيقة منها اصغر من حجم جوهر الهيدروجين مئة الف مرة اي ان مئة الف دقيقة منها تساوي جوهرًا من الهيدروجين . وقد وصل العلماء الى هذه النتيجة باساليب مختلفة لا محل لبسطها وكلها اوصلت الى نتيجة واحدة وهي ان الدقائق السلبية صغيرة جدًّا كل مئة الف دقيقة منها تساوي جوهرًا فردًا من جواهر الهيدروجين

راي جديد في بناء المادة

ان الدقائق المشار اليها تكون واحدة مهما كان نوع المادة المكهربة بالكهربائية السلبية فاستنتج اكابر العلماء الطبيعيين ان العناصر كلها مؤلفة من هذه الدقائق وهي الجواهر الفردة الحقيقية او الهيولى الاصلية . والجواهر الكيماوية المعروفة الآن مؤلفة منها وهي تختلف باختلاف عدد ما فيها من الدقائق السلبية اي ان العناصر كلها الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والتوتيا والانتيمون والاكسجين والهيدروجين وهلمَّ جرًّا الى السبعين عنصرًا او اكثر المحسوبة الآن بسيطة مؤلفة كلها اصلاً من مادة واحدة وهي الدقائق السلبية المشار اليها آنفًا وتختلف بعضها عن بعض في مقدار ما فيها من هذه الدقائق فاذا كان في جوهر الهيدروجين ١٠٠٠ دقيقة ففي جوهر الاكسجين ١٦٠٠٠ دقيقة وفي جوهر الزيبق ٢٠٠٠٠٠ دقيقة لان جوهر الاكسجين اثقل من جوهر الهيدروجين ١٦ مرة وجوهر الزيبق اثقل من

جوهر الهيدروجين ٢٠٠ مرة · وقد أُطلق على هذه الدقائق اسم الالكترون و يقتضي الامر ان يكون نصف الالكترونات سلبيًّا ونصفها ايجابيًّا والاَّ ظهرت الكهربائية في كل عنصر من العناصر ولكن الدلائل كلها تدلُّ على ان الالكترونات الايجابيَّة لاتنبعث من الجسم ولاينبعث منهُ الاَّ الالكترونات السلبيَّة ولذلك ارتأَى الاستاذ طمسن ان الالكترونات الايجابية تكون في باطن الجوهر والسلبيَّة في ظاهرهِ فتخرج هذه وتبقى تلك · لكن التجارب لم تؤيد هذا الرأي حتى الآن · وغاية ما ثبت ان في المادة دقائق اصغر من الجواهر الفردة تنبعث منها اذا تكهربت بالكهربائية السلبية فانتقل الجوهر الفرد او الجزء الذي لايتجزأُ من الجوهر الكيماوي الى الجوهر الطبيعي او الالكترون

ماهية اشعة رنتجن

قلنا ان اشعة رنتجن تشبه اشعة الكهربائية السلبية في بعض خواصها حتى عدها البعض نوعًا واحدًا لكن رنتجن اثبت بالامتحان ان اشعتهُ تختلف عن الاشعة السلبية في انها لا تنحرف بواسطة المغنطيس ولا بواسطة الاجسام المكهربة كما تنحرف الاشعة السلبية وفي انها لا تكهرب الاجسام التي تقع عليها كهربائية سلبية فهي ليست من اشعة الكهربائية السلبية ولكنها تتولد متى وقعت هذه الاشعة السلبية على سطح جسم في الانبوب المفرغ من الهواء او على سطح الانبوب نفسهِ. و يظن بعض العلماء الآن ان اشعة رنتجن ليست مادية بل هي تموج في الاثير مثل تموج النور

الاشعة السلبية من الاجسام المشعة

لما رئيت الاشعة في الاورانيوم والثوريوم والراديوم ظُنَّ اولاً انها من نوع اشعة رنتجن لانها تخترق الاجسام المظلمة مثل اشعة رنتجن وتؤثر في الالواح الفوتوغرافية مثلها ولكن لما امتحنت بالمغنطيس الذي يفرق بين اشعة رنتجن والاشعة السلبية ظهر انها تنحرف بهِ كما تنحرف الاشعة السلبية ثم ثبت انها تكهرب الاجسام التي تقع عليها كهربائية سلبية كالاشعة السلبية وان المغنطيس يحرفها كما يحرف الاشعة السلبية تمامًا كمًّا وكيفًا · فالاجسام المشعة كالراديوم والثوريوم والاورانيوم تخرج اشعةً مثل الاشعة السلبية التي قلنا انها مؤلفة من دقائق صغيرة مكهربة سلبًا كل الف دقيقة منها تساوي جوهرًا من جواهر الهيدروجين · ثم ظهر ان سرعة هذهِ الاشعة اشد من سرعة الاشعة السلبية وسرعة الاشعة السلبية ٢٠٠٠٠ ميل في الثانية من الزمان اي نحو عشر سرعة النور ولكن سرعة اشعة الاجسام المشعَّة اكثر من ذلك وتكاد تبلغ سرعة اشعة النور لانها ١٧٥٠٠٠ ميل في الثانية وسرعة النور ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية وستأتي نتيجة الكلام على هذا الموضوع في الجزء التالي

مذاهب الكتّاب في الحرب

مالية اليابان

كتب احد مشاهير الكتَّاب مقالة في مجلة القرن التاسع عشر عن مالية اليابان فأَبان قوة ركز اليابان وامتدح الاحصاآت التي يعملونها لما فيها من الضبط والدقة وقال ان حمل النفقات الحربية والبحرية خفيف على اليابان لاننا اذا بحثنا في موقفها المالي وجدنا انهُ وان كان تقدمها الحربي سريعاً جدًّا الاَّ ان تقدمها المالي كان اسرع منهُ كثيرًا فانها ادهشت العالم بنجاحها في الحرب وستدهشهُ اكثر بنجاحها في الصناعة والتجارة والزراعة ووسائط النقل والتعدين

اما مركزها من حيث دَيْنها الاهلي فأحسن من مراكز سائر الدول . وايد ذلك بجدول شر عن ديون الدول الاهلية سنة ١٩٠١ فظهر منهُ انهُ اصاب الفرد من اهالي فرنسا في تلك السنة ٢٨ جنيهاً وكسور من دينها الاهلي ومن اهالي انكلترا ١٨ جنيهاً ونصف ومن اهالي ايطاليا نحو ١٦ جنيهاً ومن اهالي مصر ١٠ جنيهات ونصف ومن اهالي روسيا نحو ٥ جنيهات ومن اهالي اليابان جنيه واحد وستة شلنات

ثم قال انهُ يصيب الفرد من اهالي اليابان سنويًّا نحو عشرة غروش من فائدة الدين الاهلي . وهذا القدر يساوي ما يأخذهُ الصانع المتوسط فيها من الاجرة يوميًّا . وعليهِ فهي نستطيع ان تدفع فائدة دينها بسهولة . اما انكلترا فيصيب الفرد من اهلها سنويًّا نحو ١٠ شلينات من فائدة دينها الاهلي وهذا يساوي اجرة الصانع فيها في يومين ونصف وعليهِ فان دفع فائدة الدين الاهلي اسهل على اليابان منهُ على انكلترا بمقتضى قياس اجرة الصانع

اما دين اليابان الاهلي فقدرهُ ٥٦٣٥٠٠٠٠ جنيه وهو لا يعدُّ حملاً ثقيلاً على اليابان لانهُ يساوي دخلها في سنتين على حين ان دين ايطاليا الاهلي يساوي دخلها في سبع سنوات ودين فرنسا الاهلي يساوي دخلها في ثماني سنوات ودين انكلترا الاهلي يساوي دخلها في خمس سنوات . ومما يدلُّ على ان دين اليابان ليس ثقيلاً عليها هو ان ثلثي ذلك الدين لاهالي بلادها ودينها الذي لغير اهاليها يبلغ نحو ١٥٥٠٠٠٠٠ جنيه وهو اسهم وسندات اكثرها في يد الانكليز على حين ان قيمة الاسهم والسندات الروسية التي في ايدي الاجانب تبلغ عشرين ضعف ذلك المبلغ على القليل . والاموال الاجنبية المستعملة في روسيا تبلغ اربعين ضعف الاموال الاجنبية المستعملة في اليابان

مدة الحرب

انشأَ المسيو بيير لروى بولييه مقالة في مجلة العالمين الفرنسوية المشهورة فاطال في وصف ثبات اليابانيين واعتدالهم واقتصادهم ومقدرتهم الحربية برًّا وبحرًا واستطرد الى ماليتهم فقال ان من الغلو ان يظنَّ ان اليابان لاتستطيع الانفاق على جيوشها مدة طويلة وانها انما شهرت الحرب لانها لم تعد تستطيع ابقاء جنودها على قدم الحرب ولا ريب انها لاتكفُّ عن الحرب بسبب قلة المال لانها وان تكن افقر من خصمها الاَّ ان مواردها كثيرة وهي تستطيع ان تقترض المال في لندن ونيو يورك بربًا موافق لها

ثم بحث في مدة الحرب وهل تدوم الى آخر السنة فقال ان من الصعب الانباء بطول مدة الحروب عمومًا ولكن الرأْي المتسلط على الاذهان ان الحرب الحاضرة تطول مدتها . اما في منشوريا فان اليابانيين يُهزَمون لان الروس اكثر منها عددًا ولكنهم يرسخون قدمهم في كوريا . واذا سقطت بورت آرثر في يدهم اثر ذلك تاثيرًا عظيمًا في موقف الروس السياسي اكثر من الحربي . ومن عجيب مزايا هذه الحرب انهُ يعسر جدًّا على احد الفريقين المتحاربين ان يضطر الآخر الى طلب الصلح بضربهِ ضربة قاضية ولا بد من توسط الدول اخيرًا لمنع الغالب من التوسع في فتوحاتهِ

بورت آرثر

وصف بعضهم بورت آرثر فقال انها حصن منيع يصعب اخذهُ ويسهل الدفاع عنهُ ولا يمكن حملهُ على التسليم باطلاق القنابل عليهِ بل يمكن تدمير المدينة باطلاق القنابل صعدًا في الهواء بحيث تسقط داخلها . ولكن يسهل قطع المدد عن بورت ارثر وعليهِ ارى ان خير ما تعملهُ روسيا ان تخليها وتتحصن في مكدن . ولا يبعد ان تتبع هذه الخطة قريبًا وتسترجع جنودها من ضفاف نهر يالو ايضًا

وقال احد قناصل انكلترا السابقين في نجاسا كي ان حصن بورت آرثر لا يؤْخذ من البحر البتة ولكن لا يفهم من ذلك ان الحصن أَمين من الخطر بل لابد لليابانيين من الاستيلاء عليهِ واستيلاؤُهم عليهِ مضمون اذا وجهوا اليهِ خمسة من جنودهم مقابل كل جندي من جنود الروس . واذا استولى اليابانيون على بورت آرثر تمَّ النصر لهم ولكن امامهم نصرًا اعظم وسبيلهُ ان يحصروا بورت آرثر من البر ويكرهوا حاميتها على التسليم جوعًا فيقع الحصن في يدهم والاسطول الراسي في الميناء وربما اتبعوا هذه الخطة طمعًا بان ترى اعلامهم خافقة على بوارج الروس ولو كان اتباعها يقتضي وقتًا اطول

قوانين يوستنيانوس (١)

مترجمة من الفرنسوية بالعربية

تنبيه للمترجم العربي

من المناهج المتبعة عند من تنازع نفوسهم الى تقدم العلم وترقي العمران الحرص على ما لفت الاجيال الخالية للاجيال الباقية من كنوز العلوم والشرائع · ذلك ابتغاء الظفر بما نتجهُ لهم الخبرة ومحصتهُ لهم التجربة وهدتهم اليهِ ممارسة الحوادث والشؤُون والعلائق بين الاجيال المختلفة والممالك المتعددة في حالي السلم والحرب والولاء والعداء مما لا يتهيا للمتأخرين ستنباطهُ او ابلاغهُ مبلغ الانتفاع بهِ الاَّ بعد ان يتقضى عليهم قرون · فقد نعثر في تآليفهم لى ما نتخذهُ مصدرًا نشتق منهُ ما يلائم احوال ايامنا وينفع في توفير دواعي فلاحنا وتعزيز سباب هنائنا وثرائنا · واتباعاً لهذا المنهج البيّن الفائدة اقبلت على ترجمة شريعة مملكةٍ دانت ها الاطراف القاصية في الشرق والغرب · وطار نسرها في جوّ كل ارض · وجرت احكامها ي كل صقع · ونفذت اوامرها في كل قطر · تلك هي المملكة الرومانية التي انحنى لتاجها لخافقان ومشى على شريعتها المشرقان · فهذه وان كان عرشها قد ثلَّ وتاجها قد وقع وصولجانها قد تحطم فلم تنفك قوانينها في بلاد الافرنج مورد المقبلين على تلقي الشرائع وجزءًا ن المواد الفقهية التي أُوجب على طلاَّب الفقه ان يمتحنوا فيها فترجموا بلغتهم الكثير من كتبها وفي ما ترجموا منها مختصر قوانين يوستنيانوس للفقيه الشهير كرفينس وقد طبع هذا لمختصر الذي ترجمهُ عالم فرنسوي يقال لهُ تيسار وبازائهِ الاصل اللاتيني · وقد اتحف المترجم لفرنسوي بترجمتهِ مقام الدوك دورليان ومما ذكرهُ في تقدمة مترجمهِ لمقام الدوك المشار اليهِ مران يدلاَّن على ما في تلك الشريعة من الحكمة احدهما ان الذي بعث كرفينس على اختصار وانين يوستنيانوس من دون ان يغفل شيئاً من جوهرها انما هو ما راهُ من اعراض طلبة لفقه عن دراستها لطولها · والثاني ان الشرائع الرومانية قد نعتت بانها العقل المكتوب وهي جديرة بهذا النعت العالي · فأَرجو لذلك ان يترتب على نشرهِ فائدة للخاصة واذكياء العامة ي الاقاليم والممالك التي ينتشر فيها ضياء المقتطف

---

(١) هو يوستنيانوس الاوَّل امبراطور المشرق الذي جلس على العرش من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ للميلاد · وقد قاتل قبائل الغندال الرومانية التي كانت تشنُّ الغارة على رومة ونهبها وحارب الفرس · وامر بجمع لفتاوى والقوانين الجديدة

نطق يوستنيانوس

لا يجدر بعاهل الرومانيين ان يكتفي بالانتصار على العدو في حومة القتال بل عليهِ ان يستأصل بالطرق المشروعة ظلم المبطلين من اصحاب الدعاوى · ولقد قمنا بالامرين المشار اليهما فان الامم البربرية الخاضعة لسلطتنا قد علمت شدة بأسنا في الحروب . ورعايانا كلهم جارون على ما وضعنا او قررنا من الاحكام والقوانين · ولقد رتبنا القوانين العاهلية ترتيباً واضحاً . واستنفدنا الوسع في تصفح كثير من كتب الفقه القديم حتى اتممنا هذا التأليف ولما فرغنا منهُ استدعينا تريبونيان (٢) وتاوافيل ودُورُوته واقترحنا عليهم تأليف كتاب القوانين هذا تحت سيطرتنا ومراجعتنا · وقد امرنا هؤلاء الفقهاء ان يقسموا هذه القوانين الى اربعة كتب تنتظم الاصول الاولى لعلم الفقه كلهِ

ولقد ذكرنا بالاختصار ما هو من الشرح القديم · واما ما صار من اصولهِ غامضاً لهجرهِ وعدم التعويل عليهِ فقد امرنا بسلطاننا العاهلي ان يُرعى في القضاء · واوجبنا الجري على هذه القوانين غبَّ تصفحها وتدقيق النظر في تصحيحها

الكتاب الاول

الفصل الاول في العدل والحق

العدل فضيلة تدفع الارادة ابداً لان تحكم لكلٍ بما لهُ

(١) الفقه هو العلم بالامور الالهية والبشرية ومعرفة العدل والظلم (٣)

(٢و٣) قواعد الحق هي التزام الادب ومجانبة الاضرار بالناس واعطاء كلٍ ما لهُ

(٤) الشرع اما عام وهو ما يرتّب حال الشعب الروماني · واما خاص · وهو ما ينحصر في ترتيب المنافع الفردية للوطنيين (٤) وها نحن أولاء نشرع في بيان الشرع الخاص المؤلف من اصول مستخرجة من الشرع الفطري ومن شرع الامم ومن الشرع المدني (٥)

الفصل الثاني في الشرع الفطري وشرع الامم والشرع المدني

الشرع الفطري او الطبيعي هو ما تعلّمهُ الطبيعة كلَّ حيٍ · ومن هذا الشرع يتفرَّع اجتماع الزوج والزوجة وايلاد الاولاد وتربيتهم

---

(٢) تريبونيان كان رئيس المحكمة في عهد يوستنيانوس من سنة ٤٧٥ الى سنة ٥٤٥ · وتاوافيل فقيه يوناني اشترك في تصنيف قوانين يوستنيانوس

(٣) الفقه الاسلامي يشتمل العبادات والمعاملات واحكام الزواج والعقوبات

(٤) يراد بهذا الحقوق الشخصية المتعلقة بكل فرد من افراد الوطنيين

(٥) الشرع المدني هو قسم المعاملات في الفقه الاسلامي

(١) كل الشعوب جارية في بعض شؤُونهم على قانون لهم خاص . وفي البعض الآخر لى القانون العام لكل البشر . اما القانون الذي يراعيهِ كل شعب ويجري عليهِ فانما هو حق لمدينة المسمى الشرع المدني او الحق المدني . واما الشرع الذي اقرَّهُ العقل الفطري بين البشر كلهم جمع فيكاد يكون مرعيًّا عند جميع الناس على السواء وهذا هو المقول له ُشرع الامم او حق الامم

(٢) الشرع المدني يأخذ اسمهُ من الشعب الذي يضعهُ ولم تجد الامم كلها مندوحة عن ضع شرع الامم اجابة لداعي الضرورة للحاجة

(٣) الشرع الذي نجري عليهِ اما احكام مدوَّنة او عادات جارية . والاحكام المدوَّنة ي كتاب الشرع وشرع العامة ومراسم مجلس الشيوخ . واوامر الملوك واحكام القضاة وفتاوى المفتين

(٤) كتاب الشرع هو الذي كان الشعب الروماني قد وضعهُ اجابة لطلب قاضٍ من جلس الشيوخ . واما شرع العامة فهو ما كانت العامة تضعهُ وتقرّرهُ بطلب قاضٍ من قضاتها هذا الشرع منذ ايام شرع هُرْتَنْصيا كان مرعيّ الاجراء كسائر القوانين

(٥) اما مراسم مجلس الشيوخ فهي احكام كان يبرمها ذلك المجلس

(٦) اوامر الملك شريعة

(٧) احكام القضاة تُراعى كما تراعى اوامر الملك

(٨) فتاوى المفتين وهي وجدانات وآراء المقلدين الحكم في مسائل الشريعة المنوطة هم اذا اتفقت تبلغ من وجوب المراعاة الى حد ان يتعذَّر على القضاة بحسب القوانين الاساسية ن يخرجوا عنها

(٩) اما الشرع غير المدوَّن فهو المبني على العادة والعرف(٦)

(١٠) الشرع الفطري لا يلغو ولا ينسخ . والشرع المدني الذي تمشي عليهِ الشعوب هو رضة للتنقيح والنسخ

(١١) الشرع الذي نجري عليهِ منهُ ما يتعلَّق بالاشخاص . ومنهُ ما يتعلَّق بالاشياء ومنهُ ا يتعلق بالدعاوي . ولنأخذ الآن فيما يختصُّ بالاشخاص

الفصل الثالث في حقّ الاشخاص

الناس اما أحرار واما عبيد

(١) الحرية حقٌّ فطريٌّ يُبيح لكلٍّ ان يفعل ما يشاء ما لم تمنعهُ الشريعة او قوة قاهرة

---

(٦) وفي الفقه الاسلامي « العادة محكمة والعرف قاض » ولابن عابدين صاحب الحاشية رسالة موسومة شر العرف في بناء بعض الاحكام على العرف وهي مشبعة في هذا الباب

(٢) العبودية نظام من شرع الامم بهِ يخضع الواحد لسلطة الآخر خلافاً لحق الفطرة⁽٧⁾

(٣و٤) العبيد من يُولَدون من نسائنا الإماء . ومن يصيرون بحسب حق الأمم عبيداً اذا أُخذوا أسرى · والحرُّ البالغ يصير عبداً بحسب الشرع المدني اذا رضي ان يباع ليأخذ حصةً من الثمن

(٥) لا تفاوت في حال العبودية · والاحرار اما احرار في الأَصل او محرَّرون

الفصل الرابع في الأَحرار

الحرّ من وُلد ولا سلطة لوالديهِ على بيعهِ . واذا بلغ عاقلاً نفذ تصرُّفهُ · ويكفي المولود ليكون حرًّا ان تكون امهُ حرَّةً او أَنها كانت حرةً بين الحمل بهِ وولادتهِ

(١) المرور بالعبودية لا يبطل حقوق الأَحرار

الفصل الخامس في المحرَّرين او المعتَقين

المحرَّرون هم الذين يخرجون بالاعتاق من رقٍّ . فالعتق هو اعطاء الحرية · واصل هذا من شرع الامم

(١) التحرير قد يكون في المعابد⁽٨⁾ او بالادّعاء او بين الاصحاب او بكتابة رسالة او بالوصية الاخيرة ايًّا كان نوعها

(٢) يصحُّ ان يعتق المولى عبده' باشهاد القاضي ولو كان هذا مارًّا بالطريق

---

(٧) انما قال خلافاً لحق الفطرة اذ لارقّ في اصل الخلقة الاّ ان قوّة الواحد وضعف الآخر قد اوجدهُ في الامم القديمة · فالرومانيون انفسهم يعترفون بان الرقّ منافٍ لحق الفطرة ويعتذرون عن الاسترقاق بعذرين لا يتعديان المغالطة المحضة الاوّل انهُ يحقّ للغالب ان يقتل الاسير فاذا استبقاهُ كان ذلك احساناً اليهِ · والثاني للغالب ان يملك اسراهُ كما يملك أَمتعتهم فيترتب على ذلك ان لهُ ان يدعي شرعيًا احتكار خدمتهم · قلت ولا داعي للتعرض لرد هذين العذرين عن امرٍ لا يقبل فيهِ عذر · وانما جرى عليهِ الرومانيون متابعة لمن تقدَّمهم وتعزيزًا للسياسة والاقتصاد · هذا ومن احبَّ الوقوف على احوال الاسترقاق عند الامم المختلفة فعليهِ بمطالعة السفر النفيس الشاهد لواضعهِ ومترجمهِ بطول الباع وسعة الاطلاع وهو المسمى (الرق في الاسلام) وهو مطبوع ببولاق مصر سنة ١٨٩٢ للميلاد

(٨) صور الاعتاق في الفقه الاسلامي تختلف عن بعض صورهِ في الشريعة الرومانية فالتحرير في الشرع الاسلامي بعضهُ منجزٌ وذلك اذا قال المولي لعبدهِ انت حرٌّ او ما هو في معناهُ وبعضهُ معلق وذلك اذا دبرهُ او كاتبهُ · اما التدبير فهو ان يقول المولى لعبدهِ انت حرٌّ بعد موتي او قد اعتقتك بعد موتي او قد دبرتك وبعد التدبير لا يجوز للمولى بيع العبد ولا هبتهُ · واما المكاتبة فهي تحرير المملوك يدًا حالاً ورقبةً ومآلاً وتنعقد المكاتبة بان يتفق عليها المولى وعبدهُ على مال يؤديهِ العبد لمولاهُ · ويجوز للمولى ان يشترط المال حالاً او مؤجلاً الى اجلٍ معلوم او منجمًا اي مقسطًا على ازمنة معينة

(٣) المحرَّرون بالاعتاق يصيرون من ابناء الوطن الرومانيّ وبعضهم يصيرون من عامة اللاتين . وبعضهم يصيرون من السفلة غير انا ندعوهم جميعاً ابناء الوطن الرومانيّ

الفصل السادس في موانع العتق

العتق الصادر لغبن الغرماء باطل

(١) لا يباح للمولى المفلس ان يقيم عبدهُ وارثاً لهُ معتقاً اياهُ . فهذا العبد متى عتق كان الوارث الوحيد لمولاهُ بمعنى انهُ لا يكون ثمة وارث آخر بالوصية

(٢) الشريعة تقيّد المفاعيل نفسها عند اقامة الوارث بمنفعة العبد ولو لم يحرَّر مع اقامتهِ وارثاً

(٣) المولى الذي حرَّر لغبن غرمائهِ يعد مفلساً للاعتاقات التي اعتقها (لا بدّ من اقامة البينة على انهُ اراد الغبن)

(٤) لا يجوز للقاصر وهو ابن عشرين ان يحرّر الاّ بإقامة دعوى بعد استصواب اسباب العتق

(٥) يكون للمولى سبب شرعي للاعتاق اذا اراد ان يعتق اباهُ او امهُ او ابنهُ او ابنتهُ و اخوتهُ او اخواتهِ الطبيعيين او استاذهُ او مرضعهُ او زوج مرضعهِ او تلميذهُ من الذكور و الاناث او ربيبهُ اي اخاهُ من الرضاع . ولهُ ذلك ايضاً اذا اراد ان يتزوج امرأة عبدهِ و بقيم قيماً لبيتهِ من هو في رقهِ

(٦) ما قُبل من الاسباب مرة لا يجوز ردهُ فيما بعد

(٧) لا نجيز للقاصر الذي لم يبلغ العشرين ان يعتق عبدهُ بالوصية الاّ بالشرط الذي لا بدّ منهُ وهو ان يبلغ ثماني عشرة سنة من عمرهِ عند موتهِ

الفصل السابع في ابطال شريعة فيزيا كانينا

ان شريعة فيزيا كانينا قد وضعت صورة معينة لاعتاق العبيد بالوصية ونحن قد استصوبنا ابطال تلك الصورة

الفصل الثامن في النافذ التصرُّف وفي المحجور

الناس بعضهم مطلق اليد نافذ التصرف في مالهِ . وبعضهم محجور عليهِ كالصغير الذي هو تحت ولاية ابيهِ او جدهِ والعبد الذي هو تحت ولاية مولاهُ

(١) العبيد تحت ولاية مواليهم . وعند كل الأُمم للمولى الحق على حياة العبد وموتهِ (٩)

(٢) نحظر في هذا الوقت على ايٍّ كان ان يقسوا على عبدهِ الاّ لعلة مقبولة شرعاً .

---

(٩) في الفقه الحنفي لا يقتل الرجل بعبدهِ ولا مدبرهِ ولا مكاتبهِ ولا بعبد ولدهِ

فقد ضرب على ايدي الموالي ان يقسوا عليهم لان انطونان امر ان الذين يعاملون عبيدهم بقسوة غير محتملة يكرهون على بيعهم بشروط مقبولة . ومصلحة الامة تستدعي ان كل احدٍ يحسن استعمال ما يملكهُ . وليس لهُ ان يسيء استعمالهُ

الفصل التاسع في الولاية الابوية

الاولاد الذين نرزقهم بالزواج الشرعي هم تحت ولايتنا

(١) الزواج ان يقترن الرجل بالمرأة ويعيشا عيشة مشتركة لا انحلال لها

(٢) الحقوق التي لنا على اولادنا خاصة بالوطنيين الرومانيين

(٣) المولود منك ومن زوجتك هو تحت ولايتك وكذا المولود من ابنك ومن زوجتهِ

الفصل العاشر في الزواج

ابناء الوطن الرومانيون الذين يتبعون في زواجهم الاصول المقررة في الشرائع يعد زواجهم شرعيًّا متى بلغ الذكر مبلغ الرجال والانثى مبلغ النساء على ان ابناء البيوت المعروفة ينبغي ان يترضوا من هم تحت ولايتهم من الاصول كالاب والجد

(١) لا يؤذن للروماني ان يتزوج اية كانت . يحظر الزواج على الاطلاق بين جميع من هم في مقام الاصول كالآباء والاجداد او الفروع كالاولاد والاحفاد . وكذلك بين الذين لا يقومون مقام الاصول او الفروع الَّا بالتبني . وهذه القاعدة مطلقة بحيث ان المنع يبقى ولو بطل التبني

(٢) لا يجوز الزواج بين الاخ والاخت . ولا يحل لك ان تتزوج اختك المتبنَّاة مابقي التبني ويكون الامر بالخلاف اذا بطل التبني او اصبحت انت مأذونًا

(٣) لا يحل لك ان تتزوج بنت اخيك او اختك ولا حفيدتهما ولو في الدرجة الرابعة . يحل لك ان تتزوج ابنة المرأة التي تبناها ابوك

(٤) يحل عقد الزواج بين اولاد الأخوين والأُختين واولاد الأخ والاخت

(٥) لا يحل للمرء ان يتزوج عمتهُ ولو متبناة ولا خالتهُ لأَنهما تنزَّلان منزلة الاصول

(٦) يمنع الرجل احترامًا للمصاهرة ان يتزوج كنتهُ وان يتزوج بنت امرأتهِ اي التي كانت كنة . والتي كانت امها امرأتهُ وذلك لانهما بمنزلة البنات

(٧) لا يحل للرجل ان يتزوج حماتهُ ولاrابتهُ (اي امرأَة ابيهِ) لانهما بمنزلة الام منهُ . وهذا المنع لا يبتدئ الَّا بعد انحلال المصاهرة اي عقيب وفاة الحم او الاب

(٨) يحل لابن الزوج المولود من زوج سابق ولابنة الزوجة المولودة من زوج آخر او

بالعكس ان يعقدا زواجاً شرعياً حتى ولو كان لهما اخ او أُخت من فراش ثان

(٩) قال جوليان يجب ان تمتنع ان تتزوج البنت التي وُلدت لامرأتك من زوج آخر بعد ان طلقتها

(١٠) من المقرر ان القرابات المتأتية من العبودية توجد مانعاً للزواج

(١١و١٢) اذا تعدَّى بعض الناس الموانع المذكورة آنفاً فلا يعتبر زواجهم بل تنالهم فوق ذلك عقوبات أُخر

(١٣) ان الولد الطبيعي المنوط امرهُ بالديوان الروحي هو خاضع لولاية الاب · وكذلك الولد المولود من ام حرَّة · والولد الذي تلدهُ امٌّ حرَّة كانت تخالط الاب سفاحاً فهذا الولد يجوز ان يكون تحت ولاية هذا الوالد اذا عُقد بين الرجل والمرأة عقد مهري فيما بعد

الفصل الحادي عشر في التبني

اولادنا حتى الذين نتبنَّاهم هم تحت ولايتنا

(١) باجازة الملك يباح لكلٍّ ان يتبنى من هم اولياء انفسهم · وهذا النوع من التبني يسمى بالتبني الاستدعائي · ولكلٍّ باذن القاضي ان يتبنى من هم في حجر اصولهم اي آبائهم واجدادهم

(٢) اذا الاب الطبيعي سلَّم ابن البيت المعروف الى شخص غريب فحقوق هذا الاب الطبيعي على هذا الابن لا تبطل بوجهٍ ما ولا يقع الولد تحت ولاية الاب المتبني ولو ان التركة تحوَّل اليهِ من دون وصية من هذا الاب الاخير · واذا الاب الطبيعي اعطى ابنهُ بالتبني الشخص ليس بغريب فالولاية الابوية تبقى للاب المتبني بكل قوَّتها

(٣) متى كان القاصر متبنًّى باجازة الملك يصير النظر في هل هذا التبني مفيد للقاصر اولا ففي هذه الحالة لا يقع طلب التبني الاَّ بشروط معينة وتلك كأن يكفل طالب التبني انهُ اذا توفي القاصر قبل سنّ البلوغ فاموالهُ ترد الى من يرثونهُ لو لم يكن متبنًّى · ليس للمتبني بالاستدعاء ان يعتق المتبنى ما لم يكن هناك اسباب واقعية مستصوبة وبعد ان يردَّ للمتبني الاموال التي كانت لهُ · فالاب اذا حرمهُ من الميراث عند الموت او اذا كان قد اذن لهُ في التصرُّف فعليهِ ان يترك لهُ ربع مالهِ

(٤) لا يباح لاحدٍ ان يتبنى من هو اسنُّ منهُ · ومن يريد ان يتخذ ابناً سواء بالتبني او بالاستدعاء يتعين ان يكون اكبر سنًّا من ذلك الشخص بمقدار زمن البلوغ كلهِ

(٥) يجوز لمن ليس لهُ ولد ان يتخذ بالتبني الاحفاد وكذلك مَن بعدهم

(٦) يجوز ان يتبنى ابن الغير ليقوم مقام الحفيد او حفيد الغير ليقوم مقام ابنهِ

(٧) اذا تبنى من لهُ ابنٌ طبيعيٌّ او متبنى شخصاً ليقوم مقام حفيدهِ فلا يصح ذلك الاَّ ان يرضى هذا الابن بالتبني لكن اذا الجد اعطى حفيدهُ للتبني فلا يشترط لصحة ذلك رضا الابن

(٨) من يتبنَّ شخصاً ليس بغريب فلهُ ان يسلمهُ بالتبني الى آخر ان شاء

(٩) لا يحق التبني لمن يتعذر عليهم ان يلدوا وكذلك الخصيان لا يحق لهم ان يتبنوا

(١٠) ليس للنساء ان يتبنين

(١١) من تبني استدعائيًّا ولهُ اولاد تحت ولايتهِ دخل هو واولادهُ تحت ولاية المتبني

(١٢) نحن نحكم بعتق العبد وصيرورتهِ حرًّا اذا استنتج من وثيقة رسمية ان مولاهُ قد دعاهُ ابنهُ

الفصل الثاني عشر فيما يبطل ولاية الأَب

اذا مات الاب وبنوهُ وبناتهُ قد رشدوا وايضاً اذا توفي الجدُّ واحفادهُ قد رشدوا ترتفع ولاية الاب

(١) من ينفى الى جزيرة يعدم حقوقهُ المدنية ويتفرَّع على ذلك ان اولادهُ يخرجون من تحت ولايتهِ ويحسب كأنهُ مات لكن متى رُدَّت اليهِ حقوقهُ عادت ولايتهُ عليهم الى عهدها الاول

(٢) اما الذين انما هم مبعدون فتبقى لهم على اولادهم ولاية الأبوة

(٣) من يصير عبداً بالاشغال الشاقة يبطل ما لهُ على اولادهِ من ولاية الابوة

(٤) رتبة الشرف المختصة ببطارقة الروم تخرج الاولاد من ولاية الاب

(٥) اذا الاب اسرهُ عدوٌّ فولايتهُ على اولادهِ تصبح موقوفةً لاحتمال انهُ يطلق فيرجع

(٦) ان المأذونين من الاولاد يخرجون من تحت الولاية الابوية . وحينئذٍ لا يبقى لاصولهم الاَّ نفس الحقوق التي تعزَى لمواليهم

(٧) ان من كان تحت ولايتهِ ابن وحفيد او حفيدة من هذا الابن يجوز لهُ ان يخرج ابنهُ من تحت ولايتهِ ويبقى تحت هذه الولاية حفيدهُ او حفيدتهُ ويجوز لهُ ان يبقى ابنهُ تحت ولايتهِ ويخرج احد احفادهِ او احفادهُ كلهم

(٨) اذا اعطى اب للتبني الابن الذي هو تحت ولايتهِ الى جدهِ او الى ابي جدهِ الطبيعي انتقل حق ولاية الاب الطبيعي الى الاب المتبني

(٩) اذا اذنت لابنك في التصرُّف او اعطيتهُ للتبني وكنتك حامل فالابن الذي يولد منها يولد تحت ولايتك لكن اذا لم يحبل بالولد الاَّ بعد الاذن او التبني فيكون في ولاية ابيهِ المأذون او جدهِ المتبني

(١٠) لاحقّ للاولاد سواءٌ كانوا طبيعيين او متبنين ان يلزموا الاب بان يخرجهم من ولايتهِ

الفصل الثالث عشر في الوصايا

الذين ليسوا تحت ولاية الغير منهم من يكون عليهِ وصيّ او لهُ وكيل ومنهم من لا يكون لهُ وصيّ ولا وكيل

(١) الوصاية هي الولاية التي يعطيها الشرع المدني لحرٍ ليحامي عمَّن لصغرهِ لا يستطيع المحاماة عن نفسهِ

(٢) الاوصياءُ هم الذين لهم بقوَّة الشرع المدني حقّ التصرُّف في اموال اليتامى واملاكهم

(٣) للاصول (وهم الآباءُ والاجداد) ان يقيموا اوصياءَ على اولادهم الصغار الذين هم تحت ولايتهم وعلى احفادهم ان لم يكونوا بحال تجعلهم تحت ولاية الاب ثانية

(٤) هذا الحكم مطَّرد في المولودين بعد موت آبائهم كما هو مطَّرد فيمن وُلدوا في حياة ابائهم

(٥) الوصيُّ المقام على الولد بوصاية الاب يجب ان يعترفهُ الوالي وصيًّا بلا تحقيق

الفصل الرابع عشر في الذين لا يصحُّ ان يوصى اليهم

يصحُّ ان يقام وصيًّا ابو العائلة وابن البيت

(١) يصحُّ ان يوصي الى عبدهِ حرَّرهُ او لم يحرّرهُ والى عبد غيرهِ ان كان هذا العبد حرًّا . واما عبدهُ فلا تصحُّ اقامتهُ وصيًّا ولو ذكرت تلك العبارة "متى صار حرًّا"

(٢) اذا اوصى الى مجنون او قاصر صحت الوصية تعليقًا لا تنجيزًا بمعنى ان المجنون يصير وصيًّا متى افاق والقاصر متى بلغ

(٣) يصح قطعًا ان يقام وصيٌّ الى اجلٍ مسمّى اعتبارًا من مدةٍ معينةٍ وذلك على الشريطة ان يكون قبل اقامة وارث

(٤) قد يقام وصيٌّ على شخصٍ لا على شيءٍ ولا عملٍ

(٥) اذا اقام الرجل اوصياءَ عن بناتهِ وابنائهِ دخل تحت هذه الوصاية نفسها من وُلد للموصي بعد موتهِ من بنتٍ او ابنٍ . اذا ترك الاحفاد دخلوا تحت وصاية الاولاد لا تحت وصاية الابن

الفصل الخامس عشر في وصاية العصبة الشرعية

ان لم يعين في كتاب الوصية وصيٌّ او اوصياءُ فالعصبات هم الاوصياءُ . ويقال لهم اوصياءُ شرعيون

(١) والعصبات هم المرتبطون بالقرابة من جهة الذكور (١). واما الذين لم يرتبطوا بالقرابة الاَّ بانثى فهم أُولوا الارحام (٢)

(٢) ان شريعة الالواح الاثني عشر تقيم العصبات اوصياء متى توفي من لهُ حق الايصاء ولم يقم وصيًّا

(٣) تبطل حقوق العصبة بكل نوع من انواع تغير الحالة . وليست كذلك حقوق ذوي الارحام

الفصل السادس عشر في تغير الحالة

نقص الاهلية هو تغير الحالة . وهذا إما كبير او متوسط او صغير

(١) تغير الحالة الكبير يأْتي عن حرمان حقوق الوطنية وزوال الحرية

(٢) تغير الحالة المتوسط يتسبب عن حرمان حقوق الوطنية مع بقاء الحرية

(٣) تغير الحالة الصغير يتسبب عن تغير بسيط يطرأُ على العائلة

خطر علينا وعلى الدين

تمهيد

الحق ضالَّة العقل التي ينشدها ونجعتهُ التي يرتادها وانما تتفاوت العقول في معرفة الحق تفاوتها في مراتب الرقي وتتباين في تعيينهِ تباينها في العلم . لهذا لا تجد قائلاً قولاً او منتحلاً نحلةً او مرتئياً رأْياً الاَّ ويزعم انهُ على حقّ . ومن ثمَّ كان من العدل ان لا يؤْخذ على قائل ظنهُ انهُ على حقّ الاَّ اذا قامت الادلَّة وتجلَّت البراهين على انهُ على غير الحقّ واصرَّ على ما قام في نفسهِ مع وضوح انهُ على غير حقّ

كتب حضرة الفاضل صاحب مقالة “خطر علينا وعلى الدين” في المقتطف الماضي ما يعتقد انهُ حقّ ولاعتقادهِ انَّ الحق في بادىء الامر يصادم الاسماع مصادمةً ويقارع النفوس مقارعة كان كمن يقدِّم قدماً ويؤَخر أُخرى اتقاء المؤاخذة من عمرو والانتقاد من بكر: عادة الفها الناس في مقابلة كلّ قول جديد لم تأْلفهُ النفوس ولم تدمن عليهِ الاسماع

---

(١) في كتب الفرائض الاسلامية «العصبة ذكر» لم يدخل في نسبتهِ الى الميت انثى

(٢) الارحام جمع رحم وهو قريب ليس بعصبة ولاذي سهم

اجل ان العاقل لا بدَّ ان يستهدف للملام ويحتاط لوقع السهام لكن ينبغي لهُ مع ذلك ان يكون في جانب اليقين في انَّ مواخذيهِ هم ايضاً طلاَّب حق ولن يستطيعوا مهما بلغوا منهُ ان يطفئوا نور الحق اذا اتضح لديهم ان صاحبهُ المحق

اذا تمهد هذا اقول : ان كاتب المقالة الفاضل انما كتب ما يعتقد انهُ الحق فينبغي لمن يأخذ عليهِ قولهُ ان يأخذ بانصاف ويتنكَّب طريق الاعتساف . ولمن يرى رأيهُ ويوافقهُ في مذهبهِ ان يساجلهُ الكلام مساجلةً ويتجاذب واياهُ اطراف البحث لاستجلاء الحقيقة ووضوح الحق الذي هو ضالة العقل وطلْبة الباحثين

لهذا فانا وان كنت من مشاركيهِ في الرأْي وموافقيهِ فيما ذهب اليهِ الاَّ اني رأَيت في بعض المواضع من مقالتهِ اغراقاً ربما كان الباعث عليهِ أَلمُ الكاتب مما أَلمَّ بالمسلمين . وفي بعضها غموضاً يحتاج الى ايضاح للاسباب وافصاحٍ عن المقاصد فجئت بهذه الرسالة لمطلق البيان والتفسير لا للمواخذة والنكير . راجياً من حضرة الكاتب الفاضل موافقتي على ما يرى انهُ الحق ومن القراء الكرام نصرة الحقيقة وعدم التسرُّع الى العذل فاقول جواباً عن مقدمتهِ الاولى

نحن والدين

ابان الكاتب في هذه المقدمة عن لزوم استناد الامة في نهوضها الى الناصحين والمرشدين وذكر ما دبَّ في نفوس المصريين من روح النشاط الى الدخول في دور من ادوار الحياة جديد وان الامة تبع في هذه الحال للنصحاء والمرشدين . ثم تطرَّق من ذلك الى النظر في وجهة اولئك النصحاء وهل هي مما يفيد او لا . ثم ذكر الوجهة التي اتجه اليها النصحاء وانها مقصورة على الدين . وافاض فيما انتشر لهذا العهد بين الامة واستفاض على السنة الكتَّاب والمؤلفين واقلامهم من القول في ان علة تأَخرنا وانحطاطنا وتقدمنا وارتفاعنا هو الدين فتركهُ والجري على خلافهِ هما علة ما نحن فيهِ . والعمل بهِ هو الدواء الشافي من كل ما اصابنا من الامراض . ثم قال ان هذه النصيحة وتلك الضوضاء القائمة بين المصريين في الارشاد الى النهضة النافعة كلها موجهة الى الدين وبالدين ومن الدين

ساق الكاتب هذه المقدمة على اسلوب جميل مقبول للعقل مشعر بحسن النية وقال ما شاء ان يقول واجاد في القول فلا ينكر عليهِ الاَّ اغراقهُ في بعض المواضع لا سيما في تهمة معلمي ابناء الامة الذين لو صحَّ انهم انما جعلوا الدين هو القدوة التي يغرسونها في الاذهان لكان ذلك حسن ظنٍّ منهُ ينبغي لاولئك المعلمين ان يقابلوهُ بالشكران اذ المعروف انهم ليسوا هناك وانما فيهم افراد نعرف بعضهم يبثون في الناشئين روح الدين على وجه معقول لا يتجاوز

حد الحاجة ولا يباين تربية الاخلاق على الفضيلة ولو حذا حذوهم امثالهم من المعلمين لكان ذلك نافعاً للناشئين

واغرق في تهمة الشعراء وانما هم طلاَّب خيال وابعد الناس عن قيل وقال

واما المؤلفون والكتاب وارباب الجرائد والمجلاَّت الذين جعلوا الدين وترًا يدقون عليهِ. واذا تفرَّقت بهم المذاهب اجتمعوا اليهِ. فقد اجمل في الاشارة اليهم اجمالاً اندمج فيهِ الصادق والمائن والذي يعلم الحق ويقول بهِ والذي لا يعلمهُ. وانما التبستْ عليهِ الحقيقة وصعب عليهِ التفريق والتعيين لكثرة ما يقرع سمعهُ واسماع الناس كافة لهذا العهد من قوارع الدين من الكتَّاب والمحررين والحقيقة او الحق مخفي بين هذه الضوضاء القائمة لا ينادي بهِ الاَّ النزر اليسير ولا يستطيع تمييزهُ وتناولهُ الاَّ القوي المتين. ولما كان هذا المحل هو محل النظر والمناقشة ويلزم التبسط فيهِ فقد رأَيت بياناً للحقيقة الضائعة ودفعاً لشبه النفوس ان اقول فيهِ كلمات لا تخلو من فائدة واليك هي

كثر لغط الناس في هذه الآونة باسم الدين كما قال حضرة الكاتب وعلت صيحة الجرائد وارباب الاقلام فاختلطت الاصوات على السامعين حتى لم يعد يصل الى آذانهم سوى اسم الدين فما الباعث على هذا كلهِ وما الذي يريدهُ الصائحون ? هل هو خير الأُمة وسعادتها كما يقولون ?

أجل قام في الأُمة افراد اطالوا في حال الأُمة النظر واطلقوا لانفسهم عنان التأَمل في ماضيها وحاضرها فرأَوا ان كل ما اصابها من الانحطاط انما كان من جانب الدين بما دخل عليهِ من شوائب الوضع المختلف باختلاف الواضعين واغراضهم ممَّا لا يسع المقام بسطهُ وتعدادهُ فرأَوا ورأْيهم الحقّ ان قيام الامة من هذا الحضيض واصلاح حالتها الاجتماعية اصلاحاً ينهض بها الى مصاف الامم الحية النامية مدنيةً وعلماً لا يتأَتى الاَّ باصلاح الدين في امة تأَصل فيها الاعتقاد ان كل شيءٍ بالدين وبتطهيرهِ من شوائب البدع التي الصقها بهِ المبتدعون ظلماً وعدواناً. وان الاصلاح المدني تابع في مثل هذه الحال للاصلاح الديني. اذ ما دام المرءُ مأسورًا للعوائد مستسلماً لما يعتقد انهُ من الدين وان كان ما يعتقدهُ مضرًّا ظاهر الاثر عليهِ شاهدًا لهُ انهُ ليس من الدين فقلَّ ان يهتدي الى التملُّص من حبائل الخمول بالنزوع عما ورثهُ من اجيال طوال من الاعتقادات الباطلة والعوائد القاتلة. والشواهد على هذا كثيرة يكفي ما ذكرهُ منها حضرة الكاتب في مقدمتهِ الثانية

رأَوا ذلك ونادوا بهِ على ملاءِ الناس اعتقادًا منهم بان فيهِ خير الامة ونهوضها من العثرة

ضية ولكل مصلح عدو بل كل الناس اعداء للمصلحين لان المصلح يريد مصادرة الناس في وائدهم ويريدون البقاء عليها وشتان بين الامرين . فقام من الناس من يناهضهم مناهضة حامي بزعمهِ عن الدين وانما هم يحامون عن العوائد والبدع والمبتدعين والمصلحون يُدْلون بالحجة اتون بالدليل تلو الدليل رجاء الوصول الى الغاية والتمكن مع الزمن من تطهير العقول من ران التعصُّب للعادة والادمان على الجهالة . ورأى فريق آخر نزوع العامة الى جانب لفضين فهبَّ لانتهاز الفرصة وجرِّ المغنم والسعي وراء الشهرة فنادى : الدين الدين : وهو يعرف من الدين الاَّ الفاظاً يلتقطها من افواه المتناظرين ومن ثم كثرت الجلبة باسم الدين ختلط الامر على السامعين وكان ما نراهُ ونسمعهُ مما يظنهُ حضرة الكاتب مضرًّا بالمسلمين تدي انهُ نافع لان الحق كما قلنا ضالة العقل التي ينشدها ولا بدَّ مع توالي البحث والجدال طول القيل والقال من تمحيص الحق وظهورهِ للعقل في اجلى مظاهر الكمال والاخذ بهِ رضي لم يرضَ اهل الخصام والجدال

هذا تفصيل ما اجمل فيهِ حضرة الكاتب في شان المنادين باسم الدين ومنهُ يعلم انهم اقسام نهم قسم المصلحين ومنهم قسم المجادلين المكابرين ومنهم قسم المقلدين وهؤلاء هم شرُّ الناس لى الناس وهم بعينهم الذين ينطبق عليهم قول حضرة الكاتب " ما جدَّ في البلاد حادث وكان تافهاً لا يتلفت اليهِ فرد عاقل فضلاً عن امة فضلاً عن دين يجمع امماً الاَّ وسبقتهُ كلمة الدين ثم لا تزال تتبعهُ هذه الكلمة حتى يقبر في زوايا النسيان ويكون آخر ما يشيعهُ الدين "

ربَّ قائل يقول ما اغنى هؤلاء المصلحين عن اصلاح الدين واحراهم بالدعوة الى اصلاح ر الدنيا وبيان وجوه الخير والسعادة التي تتم بها سعادة الامم الراقية التي نبذت الدين

فالجواب عن ذلك ان المرض انما يزول بزوال سببهِ واذ علمنا ان سبب انحطاط المسلمين تخاذهم البدع والعوائد ديناً وهي ليست من الدين واستسلامهم بسبب ذلك للرضا بما وجدوا ليه آباءهم الاولين لزمنا ان نسعى بازالة السبب ومتى زال ونشطت العقول من عقال الاسر وائد والاغراق في الاستسلام لكل ما يقال انهُ من الدين حق وقتئذٍ على العقلاء والمصلحين ن يجولوا وجهتهم الى الاصلاح المدني اذ يجدوا يومئذ كل الامة آذاناً مصغية لما يقولون وقلوباً عبة لما بهِ ينطقون

ليس هناك دليل على ان الاصلاح المدني تابع للاصلاح الديني اعظم من مراجعة تاريخ وربا قبل منتصف القرن السادس عشر وبعدهُ اي قبل ان تظهر دعوة الاصلاح الديني بعد ظهورها اذ كان الغربيون قبل ذلك الحين مغلولي الايدي الى الاعناق مستغرقين في

سبات الوساوس قد بسطت عليهم السلطة الدينية يد القوة والقهر لتصادرهم بالعلم والحرية باسم الدين وتمنعهم من التفلت من شرَك العوائد وحبائل الاخلاد الى وساوس زعماء الدين كما هو حاصل الآن مع المسلمين . ولما قام المصلح المسيحي الكبير لوثيرس ودعا قومهُ الى ترك البدع الدينية وتطهير العقائد من شوائب الحشو القاتلة للعقول وقع من اللغط في اوربا وقام من الضوضاء بين الخاصة والغوغاء عين ما هو قائم عندنا الآن ثم كانت العاقبة للمصلحين ونفذ صوت الاصلاح الى اعماق القلوب ومن ثمَّ اخذت تتفتق اكمام العقول عن ذلك الزهر الكامن فيتفتح نوارهُ وينتشر عرفهُ واشرقت على النفوس انوار الحقائق فاندفعت في سبيل الرقي العلمي وما زالت في صعود حتى بلغت لهذا العهد اقصى ما ترمي اليهِ مقاصد الانسان . فكان الاصلاح المدني الاوربي الذي انعكس شعاعهُ على كل الآفاق نتيجة الاصلاح الديني كما كان الاصلاح السياسي نتيجة الثورة الفرنسوية الشهيرة

الاصلاح الديني في اوربا افاد المدنية والدين : افاد المدنية باطلاق العقل من قيود السيطرة الجائرة فبلغ من السعادة الدنيوية ما اراد : وافاد الدين بتطهيرهِ من شوائب المبتدعين حتى تلقتهُ العقول بالقبول وصار الدين في كل الممالك التي ساد فيها مذهب الاصلاح قوي الدعائم قائماً على الحق والفضيلة لانهُ من الكتاب وهذا لا يستنكرهُ الاَّ النفر القليل من كلّ قبيل بينما يرى ظلهُ متقلصاً من جهة ثانية شيئاً فشيئاً عن ممالك اللاتين لا سيما مملكة فرنسا حتى نبذهُ جمهور كبير من الناس كما اشار الى ذلك حضرة الكاتب في آخر مقالتهِ . وفي هذا عبرة للمعتبرين

ميراثنا الديني

اجمل الكاتب في هذه المقدمة في الكلام على ما ورثناهُ من اسلافنا من الميراث الديني اجمالاً ادمج فيهِ كل ما يخالج ضمائر الناقمين من استسلام الأُمة لكل ما قيل ويقال انهُ من جانب الدين وان كان من جانب الجهل بماهية الدين . ولما كان اكثر ما ورثناهُ مما ليس من الدين لم يكن موجوداً في عصر صاحب الرسالة (ص) ولا في عصر الصحابة وانما وجد تدريجاً ولكل بدعة وجدت تاريخ يرجع اليهِ ومصدر صدرت عنهُ ثم صارت من الدين فقد احببت ان أُلمَّ بشيءٍ من تاريخ هذه البدع ومصدرها ليعلم القارئ كيف تسربت الوثنية الى الدين وكيف أُلصق كل شيءٍ بالدين فأقول

بدأ الاسلام على ما يعلم من تاريخهِ بالدعوة الى التوحيد الذي هو أساس الاديان الالهية والكنف الواقي من تسلط كل ما لهُ صلة بالمادة على العقول البشرية ثم أُنزل القرآن بما

رض على الموحد من العبادات وبما يحتاجهُ من الاحكام في المعاملات فكان الرجل اذا راد الاسلام يُلقَّن كلمة التوحيد ويعلَّم اركان الصلاة ويؤمر بحفظ شيء من القرآن الكريم قال لهُ هذا هو الاسلام ولم يعهد في عصر الصحابة تجاوز احد هذا الحد من معرفة الدين كان من اراد من كبار الصحابة المزيد من معرفة الدين فانما كان يريد التفقه فيهِ بحفظ رآن لاجل ان يكون عارفًا باحكام الدين في القضاء والافتاء واما العبادات فقد اخذوها ن النبي (ص) بالمشاهدة واخذها عنهم كذلك من لم يرهُ وكان المتفقهون من كبار الصحابة دودين كعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وامثالهما ولم يعهد باحد منهم الخوض بما وراء لك من التأويل والقال والقيل وتناول ما وراء الظاهر بالشرح والتفصيل اللهم الاَّ ما نسب علي بن ابي طالب من بعض الخطب المشتملة على شيء من الالهيات وقد نوَّه الحافظ الذهبي ن اكثر ما نسب اليهِ من الخطب موضوع وضعهُ الشريف الرضي . واستمرَّ الامر كذلك ن المسلمين حتى اختلط العرب ايام الفتح بمجاوريهم من الامم وثنيين واهل كتاب وكانوا ديثي عهد بالاسلام سليمي الفطرة وكان الدين لم يزل غضًّا طريًّا والاديان الاخرى قد لدت ونمت ونسج عليها الناسجون ما شاؤُوا من الآراء الفلسفية والبدع العقلية فلم يلبث ان لط العرب هذه الامم حتى بدأَت في اوائل عهد التابعين تتسرب الى عقولهم النظريات نية وتلتصق بالدين البدع الباطلة وكانت اول بدعة ظهرت فيهِ بدعة معبد الجهني وغيلان مشقي في القول بالقدَر ثم تبعها غيرها وغيرها . ومن دقق النظر في التاريخ اتضح لهُ ان كثر ما ظهر من البدع في الدين كان في موطن الوثنية لذلك العهد وهي فارس والعراق وان ل بني امية كنصر بن سيار وغيرهِ كانوا يطاردون ارباب البدع والمقالات فلا يزيدهم لك الاَّ امعانًا في الابتداع ومن هنا يعلم المدقق من اين أُوتيَ المسلمون وان ما تسرَّب الى قائد من الزيغ عن سذاجة الدين الأُولى انما كان من قبل الوثنية والوثنيين الذين كبر يهم تغلب المسلمين على دولتهم وعلوّ شأن الاسلام في مواطنهم فدسوا ما دسوا في عقول لمين وتركوا لنا ما نعلم من ميراث الوثنية لا الدين وبئس ذلك الميراث المشين

اختلف ارباب المقالات بين جبرية وقدرية ومشبهة وما لا يعدُّ من الفرق التي جمعها سلام وفرَّقتها الوثنية والابتداع فادخلت كلّ فرقة شيئًا من الوهن على الدين والغلو في عتقاد الذي يرمي الى المادة في الاكثر وهي معبود الوثنيين بين اموات واحياء واحجار جار وانما جاء الاسلام لينعي على عشاق المادة استغراقهم في مظاهرها واستسلامهم لوساوسها وله اهلهُ الى المادة وكيفوهُ مثلما تريدلا مثلما يريد ثم دفعوهُ الينا على شكلهِ هذا فاعتقدنا

انهُ هذا هو الدين وضربنا بسلاحهِ وجوه المصلحين

رأى ذلك وقتئذٍ فريق آخر من الامة فهالهم ما رأوهُ فنادوا واغيرتاهُ على الدين وبالغوا في الانذار والتحذير وقول هذا حلال وهذا حرام وهذا يمسُّ بالدين وهذا تقليد للوثنيين وهذا يشكك المسلمين حتى احرجوا الامة بالصاقهم كل شيء بالدين فالقيام والقعود والاكل والشرب والتخاطب والتعامل والعلم والتعلم كلهُ بالدين ومن الدين وللدين وبالجملة لم يدعوا شيئاً من العوائد الاَّ ادخلوهُ تحت قانون الدين

ربما يعجب القارئ اذا قلنا لهُ ان المدنية الاسلامية التي نشرت اعلامها في عصرها على الخافقين انما قامت باسم الدين وللدين ولما اخذ الدين حاجتهُ منها نبذها علماءُ الدين واليك الدليل

كل من وقف على تاريخ الاسلام يعلم ان المدنية الاسلامية انما ظهرت بظهور الدولة العباسية لكنها لم تبنَ على اساس علمي صحيح الاَّ في عصر المأمون العباسي الذي تقدم الى المترجمين والكتَّاب بترجمة علوم اليونان الفلسفية • ويعلم كل واقف على التاريخ ايضاً ان المأمون كان ينزع الى مذهب الاعتزال وهو مذهب اهل الجدل الذين حاولوا التوفيق بين العقل والشرع بردّ الاسباب الى مسبباتها الطبيعية مع ارجاع الاسباب كلها الى مسبب واحد وهو الله تعالى . ولما كان هذا المذهب اساسهُ العقل احتاج اهلهُ ومن يقابلهم ايضاً الى مراجعة علوم الفلسفة والنظر لتدعيم مذاهبهم بقوة الجدل العقلي وفي فلسفة اليونان شيء كثير من هذا فتقدم المأمون بترجمة كتبهم الفلسفية واذ رأى ان الشرع في الحقيقة لا يمنع العقل عن تناول علوم الاكوان النافعة امر ايضاً بترجمة كتبهم الرياضية والطبيعية والطبية فترجمت هذه ولكن تبعاً لتلك فاخذ من هذه من اخذ لبناء صروح المدنية واخذ من تلك من اخذ للمباحث الدينية التي يسمونها علم الكلام وتكوَّن مع الزمن من هذه العلوم مدنية تناسب الوقت ويرجى منها لو طال عليها الزمن بلوغ الكمال ولكن يا للاسف لما اكتفى علماءُ الدين بما لديهم منها صاحوا في الامة بتحريم كل علم الاَّ علوم الدين فهدموا بلا شفقة تنفعل بها نفوسهم كل ما بناهُ اباؤُهم الاولون وسدُّوا في وجوه الامة كل منافذ السعادة التي يسعى اليها الانسان ويريدها للمسلم القرآن

هذا ميراثنا من اسلافنا الغابرين مما يسمونهُ الدين نضيفهُ الى ما ذكرهُ حضرة الكاتب مؤيداً بالشواهد التاريخية وهو قليل من كثير مما نحفظهُ من ميراث الدين ولو اردنا استقصاء كل ما منينا بهِ من هذا القبيل لاحتاج لوقت طويل وكتاب كبير ولو انصف حملة علم الدين واطلقوا عنان النظر في التاريخ لرأوا ان الدين لم يؤتَ من قبل علوم الاكوان وانما أُوتي من قبل تلك الوثنية التي دخلت منذ القرن الاول على الدين وزعموا انها من الدين

نزهوا الدين عن جعلهِ مانعًا من ترقي المسلمين ولما زعموا ان الانسان انما خلق ليعيش عيشة لحيوان ولا يتطاول الى تناول شيءٍ نافع من علوم الاكوان لماذا ؟ لانهُ يمس بالدين مع انهم لا يعلمون كما لا نعلم وجه مساسهِ بالدين اذ ما دامت الاديان منزلة لسعادة الانسان فمن سعادة لمسلمين ان يكونوا في مقدمة الامم علمًا ورقيًّا وقوة ومجدًا ولكن اين من يفهم هذا ممن يعتقدون ن لا شيء في عالم الحياة الاَّ الدين فانا لله وانا اليهِ راجعون

هل في النداء بالدين فائدة

« النتيجة »

كتب حضرة الكاتب في مقدماتهِ ما كتب ثم ختم كلامهِ بهذه النتيجة وهي " هل في لنداء بالدين فائدة " الجواب عنها كما هو مفهوم كلامهِ : لا : وان النداء بالدين خطر علينا وعلى الدين وضرب مثلاً على هذا بلاد اوربا وما صار اليهِ فيها الدين ثم مثلاً آخر بما وقر في اذهان المتعلمين من الشكوك وما توارد على خواطرهم من الوساوس والظنون بسبب ما صار اليهِ الدين مع كثرة من ينادي " الدين الدين " . ثم افاض في هذا الباب وجال في ميدان الكلام ما شاء ان يجول فقال اننا نوشك ان نصنع في ديننا كما صنعت بدينها اوربا من قبل واننا مع معرفتنا بما تلبس بديننا من التقاليد السخيفة تكاد اصواتنا تبح في النداء بهِ وطلب الاسترشاد بقواعدهِ الى آخر ما قال مما يدل على سلامة قصد وحيرة ربما كان سببها كما قدمنا كثرة ماقيل ويقال في الدين . ولست اريد هنا ان اتتبع كل ما قالهُ في النتيجة لان هذا يوجب ملل القارىء ويضيق عنهُ مقام المقتطف الاغر وانما اقول ان كلامهُ فيها يعروهُ اللبس اذ لما تكلم في المقدمات كلامًا اجماليًّا على المنادين بالدين وما صار اليهِ حال المسلمين لم يتمكن في النتيجة من اخراج الحق من حاصرة الباطل واطلق في الحكم اطلاقًا لا يؤخذ منهُ نتيجة توفق بين طرفي الافراط والتفريط الواقع فيهما المسلمون . واخطا من فهم انَّ المنادين بالدين كلهم يدعون الى التمسك بهِ على ما دخلهُ من الحشو واللغو المضر لا النافع للمسلمبن . على انهُ مهما رأى واعتقد في هذا الباب ما نخالهُ يخالفنا في انَّ الدين كما قدمنا مظلوم في نسبة ما نسب اليهِ وانهُ اصبح مزيجًا من اديان كثيرة قد رسخ في اذهان سواد الامة انَّ ذلك المزيج هو الدين وان هذا الدين الجديد هو الذي اخذ بالامة الى مهاوي الجهل والتقهقر وان لابدَّ لاستئصال شافة هذا الاعتقاد من النداء باصلاح الدين لا النداء بالدين مطلقًا كما ظن حضرتهُ وقال ان النداء بالدين كان ولم يزل ولم يستفد منهُ المسلمون الاَّ الاغراق في التعصُّب والجهل اذ نحن معهُ في هذا الرأي وكل عاقل ايضًا يعلم ان الدين على ما هو عليهِ الآن مدعاة لزوالهِ وشقاء

اهلهِ وانما ينفع النداء بالدين اذا امتاز تجار الدين والمتعصبون للتقاليد عن علماء الدين والاصلاح الغيورين وتركوهم وشأْنهم في الدعوة الى تطهير العقول من ادران الاعتقاد الباطل الذي تلبس بهِ سواد الامة فاصبحوا بعيدين عن قبول السعادة المدنية بعْد الارض عن السماء. وفي اعتقادي ان خطوة واحدة تخطوها الامة مع هؤُلاء المصلحين تكفي لاسترشاد العقول الى معارج التقدم التي يتلمسها المتعلمون والراغبون في معرفة السبيل الى دفع الشكوك وطرد الظنون. اقول الامة لان المطلوب اصلاح سوادها لا اصلاح افرادها واصلاح سواد الامة لا يكون الاَّ باصلاح الدين وتقويم المعتقدات كما سبق الكلام عليهِ في خبر شيعة لوثيرس في اوربا وان الاصلاح الديني عندهم كان مقدمة للاصلاح المدني لانهُ اجتثَّ من النفوس جذور العبودية واستأْصل شافة التسلط على الافهام باسم الدين

ربما يقال ان لوثيرس وجد من الامراء العقلاء المنصفين في عصرهِ من يحميهِ من غائلة الاذى والضرر من المتهجمين عليهِ باسم الدين وامراءُ المسلمين نراهم اعداءً للمصلحين الناصحين يقفون لهم في كل مرصد ووادٍ ضنًّا بسلطة الاستبداد التي يساعدهم على بقائها ما مني بهِ المسلمون من سوء الاعتقاد فما حيلة هؤُلاء المصلحين ؟ والجواب عن ذلك ان عامة الامة تبع فيما يتعلق بالدين للعلماء المتعممين فاذا انصف هؤُلاء وأَخذتهم الرأْفة بالدين واهلهِ وتركوا النصحاء وشأْنهم في امر المسلمين ولم يداجوا العامة والامراءَ فلا يبقَ هناك ادنى قوَّة لهؤُلاء : واذا كان العلماء يعتقدون ان عدم مشاكسة المصلحين ومشاغبتهم خطر على الدين فلا اهون من ان يزول اعتقادهم هذا اذا علموا ان الخطر المقبل عليهِ من قبل فريق المتعلمين كما شرحهُ حضرة الكاتب الفاضل هو اعظم بكثير مما يعتقدون في المصلحين واذا لم يسلموا معنا بقول الكاتب حسن ظن منهم بشبان المسلمين فخطر الجهل الذي انغمس بهِ المسلمون اعظم واشد وحسبهم من ذلك ما يرونهُ كل يوم من نُذُر العلم والقوَّة التي تأْتينا من قبل المغرب ونحن لا نزال نلهو عنها بهذا حرام وهذا حلال حتى نصبح عبيداً للأُمم الراقية كاليهود ليس لنا دولة ولا استقلال . ومجال البحث في هذا طويل والخبر ذو شجون. ومن الله نسأَل العون للمرشدين والراشدين اه

رفيق العظم
القاهرة

[المقتطف] كان حضرة الكاتب الاول عبد القادر افندي حمزه كلما ذَكر كلمة الدين في مقالتهِ اتبعها بكلمة "الآن" او ما هو بمعناها تمييزًا للدين على اطلاقهِ عما صار اليهِ "بضع عادات وتقاليد" فرأَينا وقت تصحيحها للطبع ان نحذف كلمة الآن من بعض الاماكن لدلالة القرينة عليها واستغناء الكلام عنها ولان الكاتب عاد فبيَّن مرادهُ جليًّا في خاتمة مقالتهِ حيث قال "ولا يقولنَّ مدافع اني اريد بهذا ان يترك الدين جانبًا فمعاذ الله ثم معاذ الله ان اريد ذلك او يخطر على فكري شيءٌ منهُ" الخ

هستيريا البصر

الهستيريا مرض كثير الانتشار يصيب الرجال والنساء ولا يختصُّ بسن واحد لكنهُ يغلب ين العاشرة والعشرين من سني العمر واعراضهُ شديدة الاختلاف قد تكون بسيطة جدًّا يكاد يشعربها العليل ولا يدركها الطبيب وقد تشتبه ببعض الامراض العضوية المهمة فينخدع بها ابغ الاطباء واكثرهم تدقيقاً . ذكر الاستاذ اوزلر Osler في كتابهِ عن الامراض الباطنية هُ زار مرة احد المستشفيات الكبيرة فوجد جرَّاحهُ وهو من ذوي الشهرة الواسعة والاختبار ازماً على استئصال ورم مبيضي وكانت المريضة تستنشق الكلوروفرم فما لبثت ان تخدرت ى زال ذلك الورم من تلقاء نفسهِ وظهر انهُ من النوع المعروف بالانتفاخ الهستيري

ومهما اختلفت اعراض الهستيريا ففيها كثير من العلامات البصرية الثابتة التي تصاحبها يكاد لا يتعذر تحقيقها في جميع الحوادث المشتبهة نبَّه اليها امام الباحثين في الامراض العصبية لامة شاركو Charcot وقال انهُ كثيرًا ما استعان بها على تشخيص العلة عندما كان يعسر ليهِ ذلك بكل الطرق الأُخرى

ومن مميزات العلامات الهستيرية امكان حدوثها للمريض بايهامهِ والتأْثير على فكرهِ كما هو مستغرق في النوم المغنطيسي بايعاز منومهِ . وقد اثبت بابينسكي صحة هذه القاعدة في ريض عُرض على جمعية مستشفى باريز الطبية وكان مصاباً بحوَل متباعد(١) اجمع الاطباء الذين راوهُ هناك على نسبتهِ الى الهستيريا اما بابينسكي فعارضهم في ذلك استناداً على القاعدة لمذكورة آنفاً لعجز المريض عن ان يحوِل عينيهِ بالايهام والاغراء بخلاف الحوَل المتقارب(٢) قد اثبت فتح جثتهِ بعد موتهِ صحة رأْي بابينسكي ووجدت آفة في الدماغ والتهاب في العصب ثالث كانا علة ذلك الحوَل

وتمتاز هستيريا البصر او ضعف البصر الهستيري بثلاثة امور مهمة اولها انقباض ميدان بصر(٣) وثانيها خلل في تمييز الالوان ونسبة بعضها الى بعض(٤) وثالثها تشنج العضلة التي تحدِب لبلورية وتبسطها وهو ما يسمَّى بتكييف العين

---

(١) الحوَل المتباعد هو انحراف العين اليمنى الى اليمين واليسرى الى اليسار فتبعدان عن محوَر البصر

(٢) الحوَل المتقارب انحراف العين اليمنى الى اليسار واليسرى الى اليمين فتقربان من محور البصر

(٣) يراد بميدان البصر الفسحة التي تراها بعينك اذا فتحتها ولم تجلها من جهة الى اخرى

(٤) يراد بذلك اتساع ميدانها النسبي فان ميدان بصر الون الابيض اوسع من ميدان اللون الازرق يدان الازرق اوسع من ميدان الاصفر وهلم جرًّا كما سيجيء

اما الانقباض المشار اليهِ فقد يكون خفيفًا جدًّا يتعذّر إدراكهُ بالطرق البسيطة فيلتجئ الطبيب الى مقياس دائرة البصر المعروف بالبريمتر Perimètre وقد يكون شديدًا فلا يبقى من ميدان البصر سوى نقطة التحديق وما حولها الى عشر درجات. وقد يزيد اشتدادًا فيفقد المصاب تلك البقية الصغرى من النظر ولا يشعر حينئذٍ بالضوء مهما كان قويًّا. الاَّ انَّ الحدقة تستمرُّ على حالتها الطبيعية اي انها تنبسط في الظلمة وتنقبض في النور ولو لم يميز العليل بينهما. وهذا من العلامات الخاصة بالكمنة الهستيرية وعللهُ بعضهم بضعف الادراك الذي يطرأ على بعض حواسّ الهستيريين فان اشعّة الضوء تصل الى الدماغ كما في الحالة الطبيعية فيرتد الفعل الى الحدقة ويقبضها ولكنَّ المصاب لا يدري بذلك. والتعليل المذكور آنفًا يظهر ايضًا كيف لا ينزعج الهستيريون الذين انقبض ميدان بصرهم انقباضًا شديدًا ولم يبقَ منهُ سوى نقطة التحديق وما حولها الى نحو عشر درجات وكيف يمكنهم المسير بسهولة مع ان المرء اذا اصيب بمثل هذا الانقباض لعلة اخرى كمرض في طبقات العين او آفة عصبية او مركزية خبط خبط عشواء واصطدم بما على جانبيهِ. وذلك لانهُ من المحتمل في هذه الحالة ان التأثيرات الشبكية التي لا يشعر بها هؤُلاء الهستيريون تصل الى الدماغ ويتأتى عنها تلك الاعمال الغريزية التي بواسطتها نسير على هدًى بالفعل المنعكس متجنبين الاصطدام بما يعترضنا من الحوائل

ويشتدُّ انقباض ميدان البصر باشتداد الضوء وعقب النوب التشنجية وعند تعرُّض المريض لفحصٍ بصريّ طويل ويتسع باستعمال العدسات الموافقة والزجاجات المدّخنة وباضعاف الضوء

وقد يكون هذا الانقباض مخالفًا للاصل فحينئذٍ اما ان يُصاب البصر المركزيّ فقط فتتشابه الحالة بالكمنة الكحولية واما ان يصاب المركز والمحيط ولا يبقى من ميدان البصر سوى منطقة حلقية

والتهييج الجلد تأثير ظاهر على ميدان البصر فالوخز في اي جهةٍ من الجسم يزيدهُ حتى يبلغهُ احيانًا الدرجة الطبيعية. وقد اشار له دنتي Le Dantée لما لهذا التهييج احيانًا من تسبيب رؤية الوان لا اثر لها في الحقيقة. فقد غُمضت عينا مريضٍ وقُرِص جلدهُ بالقرب من جزءٍ مخدَّر (وتخدُّر الجلد يصاب بهِ الهستيريون كما سيأتي) فابصر لونًا اخضر ثم كوي في جهةٍ اخرى فرأى لونًا احمر. ومن المعلوم ان ميدان بصر اللون الابيض اوسع في الحالة الصحية من ميادين الالوان الاخرى التي تتلوهُ بحسب الترتيب الآتي: الازرق فالاصفر فالاحمر فالاخضر فالبنفسجي. فمن الطبيعي ان يصاحب انقباض ميدان اللون الاول بما يناسبهُ في ميادين الالوان الاخرى وهذا هو الواقع غالبًا ولكن من غريب ما قد يُرى في الهستيريا عكس هذه القاعدة وضيق دائرة اللون الابيض اكثر من غيرهِ من الالوان

وللون الاحمر تأْثير خاص في المصابين بالهستيريا فقد تكون دائرتهُ اوسع من دوائر الالوان الاخرى كافةً وهذه الحالة تدل دلالةً قطعية على ان اصابة البصر هستيرية الاصل وتفيد جدًّا في تمييز هذا المرض عن الاصابات الكحولية والاختلاجية عند تشابه باقي الاعراض لانَّ اللون الاحمر في الاحوال الاخيرة يتأَثرُ قبل باقي الالوان وينقبض ميدانهُ اكثر من ميادينها

ولا يقتصر تأْثير الهستيريين باللون الاحمر على اتساع ميدانهِ بل يتناول ايضاً شدَّة ادراكهِ بالنسبة الى اللون الابيض والالوان الاخرى فقد ذكر الاستاذ بارينو Parinaud انهُ كان يأْتي ببعضهم ويمتحنهم بمقياس الضوء Photomêtre مظهرًا لهم نورًا ابيض يسهل عليهم رؤْيتهُ لاول وهلة ثم يأْخذ بإِضعافهِ حتى يتعذر عليهم ادراكهُ فيغطهِ بزجاجة حمراء فيبصرونهُ حالاً

وقلما تتأَثر دقة البصر في الهستيريا بل تبقى على حالتها الطبيعية كما يظهر عند التدقيق في البحث والتجارب . ومن الغريب ان يكون الامر كذلك في بعض الذين انقبض ميدان بصرهم اربعين درجة وانخفضت قوة تمييزهم للضوء انخفاضاً بيناً واغرب منهُ ان تزيد هذه الحدة البصرية في النور المعتدل عمَّا هي في النور القويّ رغماً عما هناك من تخدُّر الشبكية اي ضعف ادراكها للاشعة الضوئية

ومن العلامات التي قد ترافق ضعف البصر الهستيري رؤْية صورتين او ثلاث صورٍ للشيء الواحد عند النظر اليهِ بعين واحدة . وقد اختلفت آراء الباحثين في تعليل هذا الامر فزعم بعضهم ان المنطبع على شبكية العين لا يتجاوز الصورة الواحدة وان تعدد رؤْيتها ناتج عن خللٍ في تأْدية الدماغ وظيفتهُ . واثبتَ البعض الآخر عكس ذلك وقال انَّ تشنج القوة المكيفة للعين الذي يرافق غالبًا ضعف البصر الهستيري هو السبب المهيئ لهذا الامر وان الباعث الحقيقي نقص في تركيب العدسة البلورية فتشنج التكييف يجعل العين صالحة لرؤْية الشيء واضحاً على بعدٍ واحدٍ فقط حتى اذا أُبعد او قرّب انتشرت صورتهُ على الشبكية واختلفت نسبة اجزائهِ فضعف وتعدد ادراكهُ واما العدسة البلورية فهي كما لا يخفى مؤَلفة من ثلاث قطع منفصلة بعضها عن بعض وكل منها ذات بؤْرة خاصة بها وقادرة على تكوين صورة مختلفة عن الصورة التي تكوّنها العدسة كلها فاذا كان هناك ادنى خلل خلقي في تركيبها اشتد ظهورهُ عند تحدب سطحها المقدم المتأَتي عن انقباض تكييف العين او تشنجهِ وابصرت تلك الصور الثلاث منفصلة غير واضحة

ويتسبب ايضاً عن تشنج تكييف العين او تطبيقها علامة أُخرى شديدة الظهور في الهستيريا وهي فساد في القوّة التي يتمكن بها المرء من تقدير حجم الاشياء الحقيقي رغماً عن الاختلاف العظيم في حجم صورها الشبكية بحسب اقتراب هذه الاشياء او بعدها عن العين .

وسبب ذلك ان العين السليمة ترى الاشياء بحجمها الحقيقي لان القوة العضلية التي تستعمل لتكييفها تختلف كميتها بحسب بعد الشيء او قربهِ فيدركها الدماغ ويستنتج منها القياس الأَصلي لهذه الاشياء. اما في تشنج التطبيق فهذه القوة العضلية ثابتة على حالة واحدة ولذلك لا يتأتي للدماغ معرفة حجم الاشياء المرئية الاَّ بحسب صورها الشبكية وهذه كما هو ظاهر يختلف قياسها بحسب الابعاد. وقد يحدث ان ينظر المصاب الى شيءٍ متحرك فيراهُ آخذًا في الكبر كلما ابتعد عنهُ وهذا ناتج عن انتشار صورة الشبكية وتعددها للاسباب المتقدمة وظهورها كصورة واحدة كبيرة حتى اذا دقق البصر أَدرك خطأَهُ وظهر لهُ التناقص المستمر في حجم ذلك الشيء

ومن اغرب العلامات التي قد تشاهد في الهستيريا ان لا تبصر احدى العينين عند تغميض الأُخرى حتى اذا فتحتا كلتاهما ابصرتا معًا وهذا الامر لاشكَّ في حدوثهِ واثباتهُ سهل يتأَتى بوضع ورقة ملونة امام عيني المريض ونظرهِ اليها بكلتا عينيهِ ثم يؤْتى بعدسة منشورية قوية وتوضع امام عينهِ السليمة فيرى صورتين منفصلتين لتلك الورقة وبتغيير اتجاه محور العدسة وموضعها وتغميض العين العمياء ثم فتحها لايلبث ان يتاكد ان احدى هاتين الصورتين تابعة للعين التي لا تبصر. وقد علل برنهيم هذا الحادث الغريب بان فقد البصر في العين العمياء وهميٌّ غير حقيقي وانهُ ناتج عن فقد الصورة الشبكية بعامل نفساني لكن پارينو انتقد هذا التعليل لمخالفتهِ للقواعد العلمية وزعم ان السبب الحقيقي واقع في وجود علائق وظيفية بين نصفي الدماغ بواسطة الياف موصلة في الجسم الصلب. ويقول ان عدم امكانهِ اثبات رأْيهِ هذا تشريحيًّا لايقلل من اهميتهِ فقد صرَّح شاركو بان الظواهر المختصة بالهستيريا لا ينبغي تعليلها بالمبادىء التشريحية بل بالقواعد الفسيولوجية اي الوظيفية

وتسبب الهستيريا تخديرًا في الجهاز الحسي العام والاغشية المخاطية واعضاء الحس الخصوصية. وما ضعف البصر الهستيري الاَّ من هذا القبيل ولهذا فهو يصاحب دائمًا بارتباكات اخرى حسية خصوصًا في الجلد والبلعوم

وقد ينحصر هذا التخدير في بقعة صغيرة فيشاهد خصوصًا في الجلد المحيط بالعين الضعيفة البصر او يتخطَّى ذلك الى جزءٍ من الملتحمة والقرنية او اليهما بكلهما فيفقدان الحس تمامًا ويبطل حينئذٍ انعكاس الفعل من المقلة الى الجفن فاذا احدق المصاب بشيءٍ ثابت ولُمست الملتحمة او القرنية بريشة او قطعة من الخشب او الورق لم يتحرك الجفنان ما لم يلمس الجزء الحدقي وحينئذٍ لا يتم هذا العمل الانعكاسي من تهيج القرنية بل من تأَثر الشبكية من الصورة المنطبعة عليها. اما حركة الاجفان الاختيارية فتبقى طبيعية كما كانت ويتأَتى للمريض تتميمها

ني شاء بكل راحة وسهولة . ولا تشارك الغدة الدمعية العين المخدرة بفقدها حسها بل تمر على حالتها الطبيعية فتفرز دموعها حالما تلامس تلك العين جسمًا غريبًا

ويصيب ضعف البصر الهستيري العينين غالبًا ولا يصيب عينًا واحدة الاَّ في ٩ في المئة من وادثهِ. وهو كما تقدم نوع من التخدير العمومي المعتري الجهاز الحسي فلهذا يكون غالبًا شديدًا ي العين المحاذية للجنب الذي يعظم فيهِ ظهور ذلك الخلل وعندما ينتقل التخدير من احدى بني الجسم الى الاخرى يتبعهُ ضعف البصر الهستيري فتقوى العين المريضة وتمرض القوية

وقد تشابه اعراض ضعف البصر الهستيري امراض العين الوظيفية لكنهُ لم يعثر قط على ادثة واحدة شابهت بها هذه الامراض فقد البصر النصفي تمام المشابهة

وقال بارينو ان الهستيريا لاتؤَثر في داخل العين لانها مرض وظيفي" عضوي لكن لاندولت Landolt ونويل Nuel وديل Deyl خالفوهُ في ذلك وقالوا انها كثيرًا ماتسبب حتقانًا في الحلمة البصرية والشبكية وانهُ قد يتأَتى عنها ايضاً ضمور العصب البصري . وعندي ن الاحتقان الذي شاهدهُ الاخيرون ناتج عن اسباب اخرى اهمها الارتباكات الطمثية التي كثيرًا ما ترافق الهستيريا او تكون السبب المهيىءَ لها والتي تؤَثر على الدردة الدموية بوجه عام قد شاهدت ثلاث حوادث من هذا القبيل . اما الضمور البصري فهو ولا شك تابع لامور اخري

ومن اهم العلامات البصرية المرافقة للهستيريا واكثرها حدوثًا تشنج القوة المطبقة للعين قد تقدم التلميح اليهِ وهو على ثلاثة انواع اما ان يشبهَ الشلل فيطول البصر ويستفيد المصاب من العدسات المحدّبة واما ان يكون انقباضيًا محضًا فيتعذر على المريض القراءة بدون عدسية قعرة واما ان تشترك بهِ الحالتان فتكون العين حينئذٍ طويلة البصر وقصيرتهُ في آنٍ واحد اي نها لاتميزُ الاشياء القريبة ولا البعيدة الا باستعمال العدسات المحدّبة للاولى والمقعرّة للثانية

وتشنج التطبيق اما تامّ فلا تبصر العين الأَعلي بعدٍ مخصوص واما ناقص فيبقى هناك مقدار من تلك القوة يمكّن المرءَ من تمييز المرئيات في ميدانٍ معين يزيد وينقص بحسب ذلك المقدار الباقي

ومن السهل معرفة تشنج التطبيق الهستيري المحض المشابه لقصر البصر الحقيقي وتمييرهُ نهُ فالعين في الاول تستفيد من العدسات المقعرّة ولكن قوة العدسة الموافقة تختلف بحسب مية التشنج الموجود وقت الامتحان فهي قد تزيد او تنقص ثماني درجات في يوم واحد واذا متحنت العين بالقياس الظلي او الشبكي وُجدت صحيحة اي لاقصيرة البصر ولا طويلتهُ واذا طر الاتروبين Atropine زال ذلك التشنج تمامًا وظهرت العين في حالتها الطبيعية وتشنج لتطبيق الهستيري يرافق غالبًا الضعف البصري ولكنهُ قد يكون وحدهُ وليس من النادر

ظهوره في الاحداث كاول العلامات الدالة على ارتباك المجموع العصبي

وتتسع حدقات الهستيريين غالبًا لكنها قد تكون ضيقة خصوصًا في المصابين بالخوف من الضوء وقد تكون دوائرها غير منتظمة

ومن العلامات البصرية الهستيرية اختلال في تقارب المقلتين وهذا التقارب مسببٌ في الحالة الطبيعية عن عاملين اصليين الاول القوة المطبقة والثاني الرغبة في مزج الصورة المنطبعة على شبكية كل عين مع رفيقتها فاما ان يصاب احد هذين العاملين فقط واما ان يصاب كلاهما . فاذا اصيب العامل الاول وهو القوة المكيفة لا يشتكى المريض من رؤية الشيء مزدوجًا ولا يظهر الحوَل للناظر اليهِ لان تقارب المقلتين يتأَتى لهُ بتوجيه قوة ارادية عظيمة الى العضلات المحركة لها وهو لا يشعر غالبًا بتوجيههِ هذه القوة التي يقوم بها العامل الثاني اي الرغبة في مزج الصورتين بغير قصد منهُ ويتأَكد الطبيب في هذه الحالة وجود خلل في قوة التقارب بالطريقة الآتية . يغطي احدى عيني المصاب بعدسة منشورية قوية لتفريق الصورتين ويطلب منهُ النظر الى شيء قريب فيظهر نقص واضح في تلك القوة ثم تغطى العين الاخرى بزجاجة ملونة ويطلب النظر منهُ الى شيء بعيد فيكون اقتراب المقلتين حينئذٍ ناقصًا او طبيعيًّا او زائدًا فاذا كان زائدًا ظهر ان الاصابة شديدة وان قوة التقارب مختلة في طرفيها اي انها اقل من اللازم عند النظر الى الاشياء القريبة واكثر في البعيدة

وقد يصاب عاملا التقارب معًا وهذه الحالة نادرة وظريقة ادراكها بسيطة تتأَتى بوضع زجاجة ملونة امام احدى عيني المصاب وتوجيه نظرهِ الى لهب شمعة او ايّ شيء آخر فلا يلبث ان يراهُ مزدوجًا لكنهُ يراهُ مفردًا في الغالب على نحو المترين لما تقدم من اختلال التقارب في طرفيهِ واعتدالهِ بينهما وقد لا يتمكن البعض من رؤية صورة واحدة بالعينين على اي بعدٍ فاذا لم يكن هناك علة عضوية في عضلات المقلة كان السبب الحقيقي فقد تام لمركز مزج الصورتين الدماغي

ويتأَتي عن شدة انقباض التقارب في الهستيريا نوع من الحول او الزوغان والغالب ان يكون الخلل حينئذٍ شاملًا للعاملين الاصليين ولعامل ثالث ارادي محض لا يفعل في الحالة الطبيعية سماهُ ڤون جراف Von Graef بحماسة التقارب وهذا الحول من النوع المتقارب او الانسي ويمتاز بكونهِ وقتيًّا نوبيًا وبملازمة المسافة الفاصلة بين صورتي اي شيء ينظر اليهِ المصاب حالة واحدة سواءٌ وجه نظرهُ الى اليمين او اليسار وبامكان ازالتهِ بالأَتروبين

الياس ابرهيم الصليبي

طبيب العيون

اللغم والطربيد

ان الباحث في تاريخ الامم واسباب ارتقائها وانحطاطها ليرى في هذه الحرب الناشبة بين الروس واليابان ادلَّة قاطعة على ان موارد العلم الحديث مباحة لجميع الناس ومن يردْها اليوم رنو منها مثل مَن انشأَها او قضى العمر في حماها ولذلك فالعمران الذي تمخَّضت القرون حتى ولدتهُ ومات في سبيلهِ الوف من العلماء والعظماء والمكتشفين والمخترعين والجنود والقوَّاد مُدَّت وائده للجميع على السواء وأُبيحت موارده لاهل الخافقين

سار الروس في سبيل العمران الحديث من ايام بطرس الاكبر اي منذ اكثر من مئتي سنة هي الزمن الذي نشأَ فيهِ هذا العمران وترعرع وبلغ اشدَّهُ فكأَنها جارت اوربا من حين نشأَ عمرانها . ولم تفلح في نشر لوائهِ في كل مملكتها الواسعة الاطراف المختلفة الشعوب ولكنها لم تدخر وسعًا في جعل جنودها واساطيلها في الطبقة الاولى كيف لا وهي تنفق عليها كل سنة ٤٥ مليونًا من الجنيهات

واليابان حديثة العهد في العمران الاوربي لا نبالغ اذا قلنا انها لم تسرْ فيهِ الَّا منذ عشرين او ثلاثين سنة وحتى الآن لا تستطيع ان تنفق على جنودها واساطيلها اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات ومع ذلك فازت من فضل المدارس باقتباس احدث الاساليب التي وصل اليها اهالي اوربا واميركا سواء كان في انشاء البنوك والسكك الحديدية والمعامل الصناعية او في تعبية الجنود وتجهيز الاساطيل ومناجزة الخصوم مهما كان صولهم وطولهم

ويظهر من الاخبار التي ترد يومًا بعد يوم عن فوز اليابانيين في الحرب البحرية انهم ابعد طرًا من خصومهم واكثر منهم اعتمادًا على المستنبطات الجديدة فان اللغم الذي يعتمد عليهِ الروس نسف السفن طرزهُ قديم يضر باصحابهِ اكثر مما يضرُّ بخصومهم ولذلك اتلف من اسطولهم اكثر مما اتلف اليابانيون منهُ . والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون من احدث ما صُنع حتى الآن واكثرهُ اتقانًا يسير الى الغرَض الذي يسدَّد اليهِ بآلة تدور فيهِ ففعل من الافعال لدهشة ما القى الرعب في نفوس الدول العظيمة التي تبني البوارج الكبيرة لانهُ اثبت لها ان طربيدًا واحدًا لا يزيد ثمنهُ على جنيهات قليلة يتلف بارجة يزيد ثمنها على مليون من الجنيهات

وقد رأَينا ان نصف اللغم الذي يستعملهُ الروس والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون يضاحًا لما يرد من الاخبار عنهما

لا يخلو مرفأُ ثغرٍ حصين من لغوم توضع فيهِ وهي صناديق من الحديد يوضع فيها قطن البارود او الديناميت اذا اشعلت انفجرت ونسفت ما فوقها من السفن نسفاً فتشغرها وتغرقها في دقيقة من الزمان

والطربيد ثلاثة انواع النوع الاول يشعل بالكهربائية المتصلة اليهِ من سلك على البر فلا يشتعل من نفسهِ مطلقاً وانما يشتعل اذا اشعلهُ الرجل المنوط بهِ ذلك بالكهربائية . وهو اسلم الانواع ولكن وصل اللغوم بالاسلاك الكهربائية كبير النفقة كثير الدقَّة والظاهر ان اللغوم التي في بورت آرثر ليست من هذا النوع ومن المؤَكد ان اللغوم التي نسفت بها السفن الروسية ليست منهُ

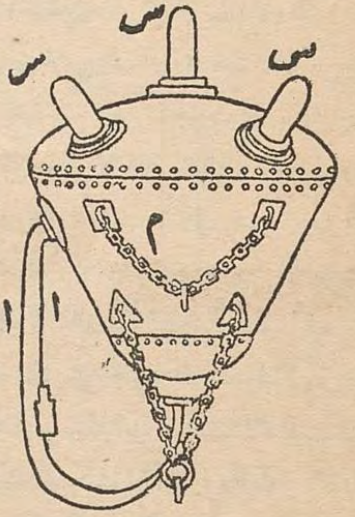

الشكل الاول

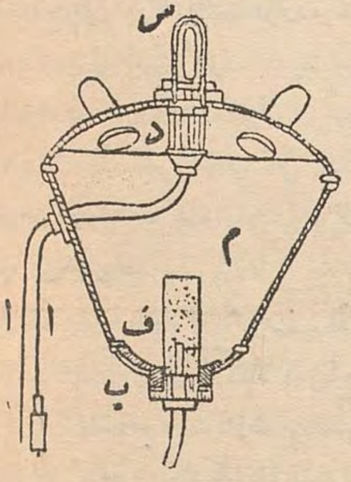

الشكل الثاني

والنوع الثاني يشتعل بواسطة ميكانيكية فان فيهِ انابيب زجاجية دقيقة نائئة منهُ في كل انبوب منها شيءٌ من الحامض الكبريتيك وتحتهُ اناءٌ صغير فيهِ كلورات البوتاس وحول الانبوب وعاءٌ من الكاوتشوك او الرصاص فاذا مرَّت سفينة فوق هذا اللغم ولمست انبوباً من انابيبهِ لوتهُ وكسرت انبوب الزجاج الذي فيهِ فيقع الحامض الكبريتيك على كلورات البوتاس ويحدث من ذلك نار تشعل الذخير وقطن البارود او الديناميت

والنوع الثالث مثل النوع الثاني ولكن في انبوب الزجاج مذوب كرومات البوتاس فاذا انكسر بمس السفينة وقع على بطرية صغيرة من الزنك والكربون فتولَّد فيها مجرًى كهربائي تنتج عنهُ شرارة تشعل قطن البارود او الديناميت . واللغوم الروسية التي نسفت سفن الروس من النوع الثاني او الثالث على ما يظهر

وشكل التربيد الظاهر كما ترى في الشكل الاول المرسوم في الصفحة السابقة والسلاسل ني فيهِ لربطهِ وربط ثقل فيهِ حتى يبقى عائماً في البحر على بعد محدود من سطحهِ والشكل الثاني ورتهُ من الباطن فترى الانبوبة التي فيها مذوب كرومات البوتاس تحت الحرف س والبطرية ند الحرف د تحتها ويتصل منها السلكان ا اَ بالاناء ف الذي فيهِ الذخير في اسفل اللغم

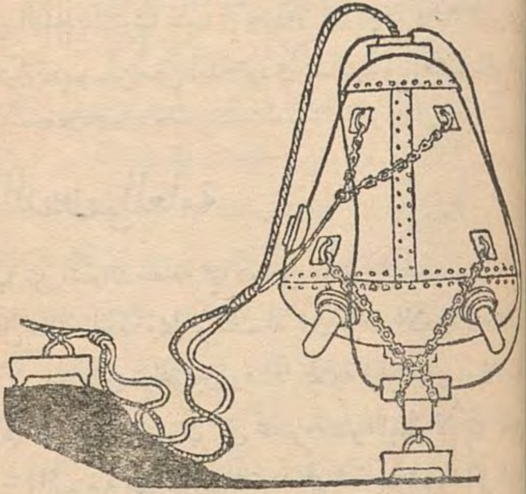

الشكل الثالث

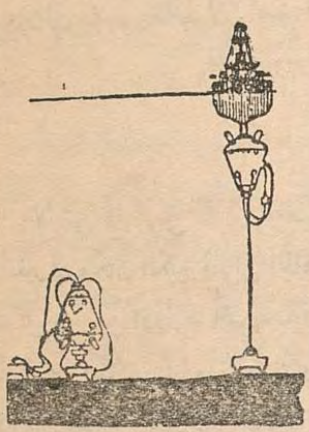

الشكل الرابع

ويربط اللغم وقت السلم بثقل يبقيهِ في قاع البحر كما ترى في الشكل الثالث فاذا نشبت لحرب وا ريد استعمالهُ اطلق بالكهربائية التي تقطع اتصالهُ بالثقل فارتفع في الماء لان فيهِ واءٌ يجعلهُ اخف منهُ وبقي مربوطاً من اسفلهِ فقط كما ترى في الشكل الرابع وقد ظهر فيهِ لغم مقيَّدا ومطلقاً ورُسمت فيهِ سفينة سائرة فوقهُ وقد لمست احد النتوات الثلاثة الناتئة منهُ

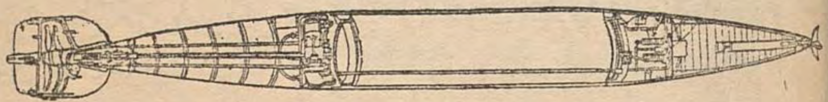

الشكل الخامس

هذا من حيث اللغم اما الطربيد فلغم يجري في الماء برفَّاص موضوع فيهِ يدور بآلة كهربائية وهوائية ولهُ انواع مختلفة اشهرها طربيد هويتهد ورفاصهُ يدور بالهواء المنضغط وطربيد مس اديصن ووفاصهُ يدور بالكهربائية ويمكن ان يحرف عن الجهة التي يسير فيها الى جهة خرى والطربيد المطيع وهو يُرْشد بالكهربائية على مبدإ تلغراف مركوني والاول مجرَّب فعلهُ مؤكد

والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون من النوع الاول اي طربيد هويتهد وباطنهُ مرسوم في الشكل الخامس فيوضع فيهِ آلة تدير رفاصةً بالهواء المنضغط وخزنة كبيرة فيها طبقات من قطن البارود وذخير يشتعل حالما يصيب الطربيد الغرض· وهو يطلق اما من انابيب كالمدافع تكون في البوارج والطرّادات او من قوارب صغيرة مصنوعة لهذه الغاية تسمَّى نسافات يركبها بعض البحارة ويسيرون بها الى ان يدنوا من سفن العدو يطلقونها عليها ثم يعودون ادراجهم وهم يعلمون انهم يسعون الى حتفهم بظلفهم لان اصغر قنبلة تصيبهم من سفن العدو تودي بنسافتهم وتغرقهم في لجج البحر

الدين والعامة

لا شيءَ اضرّ على الدين والدنيا من اشتراك العامة فيما هو من شأْن الخاصة ومن تصدُّر الصغير في مكان الكبير وانزال الجاهل منزلة العالم· ومما يؤْسف لهُ أَن كانت الامة الاسلامية في كل دور من ادوارها أُلعوبة بايدي الجاهلين والمخرقين وهدفاً لعامة الخراصين والاغبياء الثرثارين فكان دينها ودنياها تتناولها عوامل الفوضى في كل عصر ومصر اللهمَّ الاَّ في بعض الازمان التي انتظمت فيها السياسة – والسياسة متى نهجت القصد في امة يستقيم لها كل شيء في الغالب – كعصر الخلفاء الراشدين وفي عصر افراد من الخلفاء والسلاطين كعمر بن عبد العزيز والمأْمون وصلاح الدين ونور الدين وبعض ملوك بني أُمية في الاندلس جاءوا على حين فترة من ازمانهم وخالفوا اخلاق اسراتهم وبيئاتهم فاحسنوا القبض على السلطتين الدينية والمدنية وتوفَّروا على اصلاح السعادتين الدنيوية والاخروية فصح ان تدعى حكوماتهم حكومات خاصة لا حكومات عامة· وكلما اتصف الرئيس بصفات الخاصة وبَعُد عن صفات العامة يستقيم امر مرؤُوسيهِ على تلك النسبة وكلما شرفت المبادئ شرفت المقاصد ومتى صلحت العين صلحت سواقيها

ولعل من ينظر في هذه المقدمة يظن انني اعني بالعامة ذاك الغوغاء من الناس من سوقة واهل فلاحة وصناعة وتجارة· كلاَّ وانما اعني بالعامة ما عناهُ اهل الاعتزال ممن حكَّموا العقول في المنقول· اريد بالعامة ارباب الحشو وانصار التقليد واللغو ممن يدخلون في سياسة اهل الاسلام ودينهم ومنهم الفقيه والنحوي والكاتب العامل والصانع والزارع وكل من تطال الى ما ليس من شأْنهِ· وتعدى طورهُ واستعدادهُ فحسب نفسهُ عالماً بكل شيء مطالباً بالجزئيات والكليات والعلويات والسفليات

وبعدُ فان من توفر على دراسة احوال الناس واياهم في هذا الشرق العربي يتجلى لهُ ان عامة المسلمين وهم دهماء القوم وسوادهم واكثرهم نفيرًا بالطبع وان لم يأخذوا من الدين الاَّ قشورهُ وبعض شعائرهِ مما الفوهُ بحكم العادة ما برحوا حكامهم والمحكوم عليهم منهم يخلطون كل ما يقع تحت حسهم من آثار الموجودات فيما عرفوهُ انهُ الدين . الرئيس دينيًّا كان او مدنيًا يثير من يثير باسم الدين وهو منهُ اعرى من مغزل . والمرؤُوس يقوم بما يقوم بهِ باسم الدين وهو عنهُ بمعزل . وكلا الفريقين لا همَّ لهُ الاَّ ارضاء صاحبهِ وشهواتهِ ومطامعهِ

فدعوى العلماء او العامة في انهم يقومون لنصرة الدين قضت على من سماهُ الخاصة "حجة الاسلام" الغزالي ان يقوموا عليهِ في القرن الخامس ويزروا عليهِ آراءهُ فيما ذهب اليهِ من الجمع بين العقل والنقل فاخذت فئة من عامة الفقهاء تثير كوامن النفوس عليهِ ولولا هجرتهُ زمنًا من العراق الى فلسطين والشام لامتدت يد الايذاء الى شخصهِ . وتابعهم الحكام في ذلك وتواطأُوا معهم عليهِ واعنتوهُ اعنات غيرهِ من قبل ومن بعد ممن ارادوا الاصلاح ونصحوا ما استطاعوا وأُوذوا في سبيل الله . فاكتفي من عقاب الامام بتحريق كتبهِ وخصوصاً كتاب احياء علوم الدين الموصوف بانهُ لو ضاعت كتب الدين برمتها لأُلفيت مجموعة فيهِ . فحُرق في بغداد كما حرق في ساحات غرناطة وما خجلوا مما افتوا بهِ في حياتهِ حتى اذا لقي ربهُ اخذوا يخففون من تعسفهم ويتناسى خلفهم ما قام بهِ سلفهم

ودعوى العامة في النضال عن الدين اقام القيامة على "محدِّث الامة" وعالمها ابن جرير الطبري في اوائل القرن الرابع فلما لم يصلوا اليهِ بمكروهٍ في حياتهِ حالوا بينهُ وبين دافنيهِ بعد مماتهِ فاضطر اصحابهُ ان يدفنوهُ في دارهِ ليلاً . وسبب ذلك كما قال ابن الاثير جمعهُ كتاباً ذكر فيهِ اختلاف الفقهاء لم يصنف مثلهُ ولم يذكر فيهِ احمد ابن حنبل فقيل لهُ في ذلك فقال لم يكن فقيهاً وانما كان محدثًا فاشتد ذلك على الحنابلة وتابعهم غيرهم واتوا من ذلك بما اتوا

ودعوى العامة في التفاني بالدين اخذهم بمخنق الامام البخاري صاحب الجامع الصحيح الذي هو اجلُّ كتب الاسلام وافضلها على ما روى الذهبي . فانهُ بعد ان طاف معظم بلاد الاسلام في طلب الحديث وتعليمهِ الناس جاء سمرقند فكاد يهينهُ اميرها خالد بن محمد الذهلي لولا ان الله عجل في عقوبتهِ . "ولما خرج البخاري" من بخارى كتب اليهِ اهل سمرقند يخطبونهُ الى بلدهم فسار اليهم فلما كان بخرتنك وهو على فرسخين من سمرقند بلغهُ انهُ وقع بينهم بسببهِ فتنة فقوم يريدون دخولهُ وآخرون يكرهونهُ وكان لهُ اقرباء بها فنزل عندهم حتى ينجلي الامر فاقام اياماً فمرض . ثم دعا بعد ان فرغ من صلاتهِ " اللهمَّ قد ضاقت عليَّ الارض بما رحبت

فاقبضني اليك" فمات في ذلك الشهر سنة ٢٥٦

ودعوى العامة في الغيرة على الدين دعت الامام مالك بن انس ان ينقطع عن شهود الجمعة والجماعة وحضور الجنائز وعودة المرضى وقضاء الحقوق والاجتماع باصحابهِ "وكان ربما قيل لهُ في ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر ان يتكلم بعذرهِ". وسعي بهِ الى جعفر بن سليمان عم ابي جعفر المنصور "وقالوا انهُ لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشيءٍ فغضب جعفر ودعا بهِ وجردهُ وضربهُ بالسياط ومدت يدهُ حتى انخلعت كتفهُ". وذكر ابن الجوزي ان الامام ضُرب سبعين سوطاً لاجل فتوى لم توافق غرض السلطان

ودعوى العامة في الاحتفاظ بالدين قيامهم على شيخ الاسلام بن تيمية في القرن الثامن بانهُ خالف الدين في كتبهِ ومجالسهِ فاخذوا في تشريدهِ وسجنهِ مرات اعواماً طويلة اذ اقنع عامةُ العلماء عامةَ الامراء بانهُ مبتدع لا سبيل الى ايقاف تيارهِ الاَّ باخفائهِ عن اعين القوم مع ان ما دعا اليهِ الامام هو لب اللباب مما قال بهِ جمهور اكابر علماء الامة وتآليفهُ ومصنفات تلامذتهِ الاعاظم شاهد عدل مدى الدهر بان اعداءهُ من العامة قاوموهُ باسم الدين من اجل الدنيا

ودعوى العامة في الاستمساك بعرى الدين قيامهم على بن حزم الاندلسي المحدث الفقيه الفيلسوف لما مال عن رأي محمد بن ادريس الشافعي في الفقهِ الى قول اصحاب الظاهر مذهب داود بن علي ومن اتبعهُ من فقهاء الامصار ونقحهُ ونهجهُ وجادل عنهُ فتمالأ العامة من الفقهاء على بغضهِ . قال ابن بسام في الذخيرة "ردُّوا قولهُ واجمعوا على تضليلهِ وشنَّعوا عليهِ وحذروا سلاطينهم من فتنتهِ ونهوا عوامهم عن الدنو اليهِ والاخذ عنهُ فاخذ الملوك يقصونهُ عن قربهم و يسيِّرونهُ عن بلادهم الى ان انتهوا بهِ منقطع اثرهِ بتربة بلدة من "بادية ليلة" (بالاندلس) وبها توفي سنة ست وخمسين واربعمائة وهو مواظب على التأليف وبث الدعوة والاكثار من التصنيف حتى كمل من مصنفاتهِ في فنون من العلم وِقْر بعير لم يعدُ اكثرها "بادية ليلة" وحرق بعضها باشبيلية ومزقت علانية . ومن شعرهِ يصف ما احرق لهُ من كتبهِ ابن عبَّاد قولهُ

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنهُ القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلّت ركائبي وينزل ان أنزل ويدفن في قبري
دعونيَ من احراق رق وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والاَّ فعودوا في المكاتب بدأة فكم دون ما تبغون لله من سرّ

ودعوى العامة في نصرة الدين قيام العامة الفقهاء على الامام شهاب الدين السهروردي

فيلسوف الاصولي الخطيب" لانهُ لم يناظر احدًا الاَّ بزّهُ ولم يباحث محصّلاً الاَّ اربى عليهِ" ال ابن ابي اصيبعة انهُ ناظر الفقهاء بحلب ولم يجارهِ احد فكثر تشنيعهم عليهِ فاستحضرهُ سلطان الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب واستحضر لاكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم وبينهُ من المباحث والكلام فتكلم نهم بكلام كثير وبان لهُ فضل عظيمٌ وعلمٌ باهرٌ وحسُن موقعهُ عند الملك فعملوا محاضر بكفرهِ سيروها الى دمشق الى الملك الناصر صلاح الدين وقالوا ان بقي هذا فانهُ يُفسد اعتقاد الملك الظاهر وكذلك ان اطلق فانهُ يفسد اي ناحية كان من البلاد · وزادوا عليهِ اشياء كثيرة من ذلك فبعث صلاح الدين الى ولدهِ يقول لهُ لا بد من قتلهِ فاختار الامام ان يترَك في مكان نفرد ويمنع من الطعام والشراب الى ان يلقى الله تعالى ففعل بهِ ذلك في اواخر سنة ٥٨٦ بقلعة حلب وكان عمرهُ نحو ست وثلاثين سنة وقيل ان عامة من العلماء افتوا في دمهِ حتى قيل ان الملك الظاهر سيَّر اليهِ من خنقهُ وانهُ بعد مدة نقم على الذين افتوا في دمهِ وقبض علي جماعة منهم واعتقلهم واهانهم واخذ منهم اموالاً عظيمة

ودعوى الخوف على الدين دعت العامة الى اثارة الافكار على سيف الدين الآمدي شيخ المتكلمين في زمانهِ المتوفى سنة ٦٣١ قال الذهبي انهُ نسب في مصر الى دين الاوائل وكتبوا محضرًا بإهراق دمهِ فهرب وسكن حماة ثم تحوَّل الى دمشق فولاهُ الملك المعظم ابن العادل تدريس المدرسة العزيزية ولما وُلّي اخوهُ الاشرف موسى عزل عنها ونادى في المدارس من ذكر غير التفسير والحديث والفقه او تعرّض لكلام الفلاسفة نفيتهُ فاقام سيف الدين الآمدي خاملاً في بيتهِ الى ان توفي · ومن العادة ان يعمد الملوك الى ما يريحهم فاذا رأَوا العامة حانقين علي الفلسفة والفلاسفة منعوها وشرّدوهم واذا شاهدوا العامة يميلون الى احد المذاهب ارهقوا ما عداهُ ارضاءً لهم · وقد حبس الحافظ جمال الدين المزي من اصحاب ابن تيمية لقراءتهِ قصيدة في الردّ على الجهمية من كتاب افعال العباد للبخاري تحت قبة النسر بالجامع الاموي بدمشق فلم يرَ نائب السلطان ارضاءً للفريقين الاَّ ان نادى في البلدان ان لا يتكلم احد في العقائد ومن عاد الى ذلك حلّ مالهُ ودمهُ ونهبت دارهُ وحانوتهُ فسكنت الامور

ومن جملة من سفك دمهُ في زمن السلاجقة عين القضاة الميانجيّ بهمذان كان من اكابر الائمة وقد خلف ابا حامد الغزالي في المؤلفات الدينية فحسدهُ جهال الزمان المتلبسون بزي العلماء ووضعهم الوزير عليهِ فقصدوهُ بالايذاء وافضى الامر بهِ الى ان صلبهُ الوزير بهمذان

هذا طرف من حال العامة مع الدين ولو استقصيت لاتيت من امثال هذه الامثلة بالعشرات

ومن دخول العامة في مصاف الخاصة ما هو من المضحكات المبكيات. فامة لعامتها ان يدخلوا في كل حال من احوالها متى احبوا ويقوموا على كبار ائمتها وفلاسفتها بدعوى ما يقال لهُ دين في نظرهم ايرجى لها ان تنشط من عقالها وقد استحكمت فيها هذه الملكات على مر السنين والاجيال. نعم عومل خاصة الخاصة على ما رأَيت تلك المعاملة الجافية في العصور السالفة ايام كان للعالم كلمة نافذة وللناقدين من اهل البصيرة قول يسمع فما بالك في القرون الاخيرة وقد ركدت من العلم ريحهُ وخبت مصابيحهُ ولو كان في البلاد الاسلامية من يحصي لها كل يوم ما يقع من استيلاء الجهل على العلم واعنات نفوس الراغبين في الاصلاح والتجديد واهانة زعماء الحرية ومطلق الفكر لأُلِّفت المجلدات الضخمة وما وفيت الحال حقها من الوصف

ناهيك بعامة بلغ بهم الاسترسال في الجهل ان حرموا بفتاواهم القهوة والشاي لما عُرفا ولو لم يغلب العلم الجهل بعد ويسقط العمل بتلك الفتاوى بحكم العادة والرغبة في المفيد لكان خاصة الامة الى اليوم يتحامون تناول اقداح ذينك المشروبين واكوابهما. ومثل ذلك لقي التبغ والتنباك حين انتشارها فباين العامة الخاصة في تحريمهما وكتبت في ذلك الرسائل والاسفار وما اغنت وبقي الحكم للزمن في حل هذه المعضلة التي اقامت قيامة العامة وجعلت لهم حديثاً تلوكهُ السنتهم زماناً

ولعمري ماذا اعدد من هذه الوقائع من اصرار العامة من العلماء على القول بتحريم المعاطف (جاكيتات) والسراويل والصدر ولبس الاحذية والطربوش والقبعة لانها من لبوس الافرنج وصنعهم ثم كاد يؤلف استعمالها كلها استحساناً لها وتقديراً لنفعها. كل هذا مما يبرهن على صدق خاصة الامة في شكاويهم من العامة. فان ارتعش علماء الغرب اليوم لذكرى ما وقع للعالم غاليليو لما قال بحركة الارض اليومية وللحكيم فيثاني لمخالفتهِ القوم في طبيعة الخالق واعناتهما وقتل الثاني شر قتلة فان مؤَرخي المسلمين لهم ممن أُعنتوا من علمائهم امثلة يرمض ذكراها سواء كان في القرون الوسطى او الحديثة وان تكن الامة من حيث ارتقاؤُها العقلي والعملي لم تبرح بعد كأنها في صميم القرون الوسطى ظلمات بعضها فوق بعض

دمشق محمد كرد علي

الاصقاع القطبية الجنوبية

تابع ما قبلهُ

كانت سفينتنا على ما نبتغي راحةٌ ودفءٌ ونور وبهجة وسكون ولكن اذا فتحنا بابها وصعدنا الى ظهرها فهناك ليل بهيم وعصف الرياح يصمُّ الآذان والزمهرير يجلد بهِ الدم في العروق والجمد في الهواء يدخل العيون فيعميها ويسدُّ الافواه فيقطع الانفاس

غير ان هذهِ الاحوال لم تدم فان العواصف كانت تهجع احياناً ويشرق البدر ويفيض نورهُ على ما حولنا من السهول والهضاب فيكسوها حلة من البهاء ويظهر في طرف الافق ضوءٌ مستطير يدل على ان الشمس لم تزل في الوجود ولو كانت محجوبة عن الابصار. وجبل النار العظيم قائم في ذلك السهل الفسيح يشمخ بانفهِ الى السماء والدخان مسردق فوق هامتهِ كغمامة نوراء . — وقد كنا ثمانية واربعين رجلاً ولم يكن غيرنا في تلك البلاد . وها فقرة مما كنت اكتبهُ في يوميني

“الثلاثاء في ١٩ يونيو سنة ١٩٠٢ صعدت الى قنة الكاس انا وولسن كان الثلج يسقط والريح تعصف والظلمة دامسة والترمومتر على ٤٦ تحت الصفر. جلد البرد انف ولسن ثم اصطدنا فقمتين بخروج الفقاقم الى البرنادر في هذا الوقت وذهب هدصن الى غرفة المائدة ومعهُ العناكب والسراطين التي اصطادها لكي يشرح طبائعها للرفاق وكلٌّ منا يشرح لهم في دورهِ بعض الامور العلمية مرة في الاسبوع . وقد رُفعت درجة الحرارة في غرفة الجلوس فوق الستين فذاب الجليد في غرفتي وبلل ثيابي”

ولما عادت الشمس في الثاني والعشرين من شهر اغسطس خرجنا من السفينة كلنا لاستقبالها ولا يعلم ما يشعر بهِ المرءُ من البهجة حين رؤية الشمس الاَّ اذا حجبت عن بصرهِ شهوراً متوالية . نظرنا الى السماء كلنا كانَّ فيها عنصر الحياة وتلقفنا اشعة شمسها كما يتلقف العطاش بارد الماء حتى الغيوم رقصت طرباً وتوشت حواشيها بالوان قوس السحاب . ولما توارت الشمس في الحجاب وانبسط الشفق وراءها ظهر فيهِ الهلال كالعرجون القديم

ودنا حينئذٍ زمن المزالق فجعلنا نمرن الكلاب على جرها ونعدُّ الخيام والمؤَن وكان لا بد لنا من ان نزن كلَّ شيءٍ وزناً دقيقاً لان المرء لا يستطيع ان يجرَّ اكثر من زاد ستة اسابيع واذا اردنا ان تطول مدة سفرنا اكثر من ذلك فلا بدَّ من تقليل طعامنا

ولما شرعنا في السير كان الترمومتر على ٥٧ تحت الصفر اي ان البرد كان على اشدهِ فلم نسر

تسعة ايام حتى اضطررنا ان نعود ادراجنا من شدة البرد ولم نكن نخلع ثيابنا بل كنا ننام فيها الاَّ جواربنا فاننا كنا نخلعها ليلاً والاَّ جلدت اقدامنا لان الاقدام تدفأُ بانحصارها ضمن احذية الفرو فتترطب ثم تبرد وتجلد

وكنا ننام في اكياس صفيقة لا يدخلها الهواءُ كان ثقل الكيس منها اولاً ١٤ رطلاً ولكنها ثقلت رويداً رويداً بما تجمع عليها من البخرة انفاسنا فبلغ ثقل الكيس منها لما رجعنا ٢٨ رطلاً . وكنا في الصباح نلفُّ الكيس لنحملهُ وفي المساء ننشرهُ وندخل فيهِ فتذيب حرارة ابداننا بعض الجليد اللاصق بهِ او المتخلل نسيجهُ فيصير داخلهُ رطباً ونعلق جواربنا خارجاً عسى ان تتبخَّر الرطوبة منها فنجدها في الصباح مجلودة فنضع اقدامنا فيها رغماً عنا ويمضي على الواحد منا ثلاثة ارباع الساعة قبلما يتمكن من لبس جوربيهِ وحذائيهِ . فكنا ننهض الساعة الخامسة صباحاً فنقضي ساعتين في رفع اثقالنا قبل الشروع في السير ولم نكن نشعر براحة الاَّ حين نعود الى اكياسنا في الليل التالي وندخن قليلاً من التبغ اما ونحن سائرون جنوباً فلم نستطع ان نحمل التبغ معنا فحرمنا تلك اللذة ثلاثة اشهر متوالية وبلغنا حينئذٍ الدرجة ٨٢,١٧ من العرض الجنوبي فابعدنا مئتي ميل عن ابعد ما وصل اليهِ غيرنا جنوباً ولم نخلع ثيابنا الاَّ مرة واحدة وكنا حينئذٍ ثلاثة انا والدكتور ولسن والقبطان سكوت وقضينا في ذلك السفر ٩٤ يوماً وكنا نسير في اليوم ١٥ ميلاً فلا نتقدم اكثر من خمسة اميال لان كلابنا مات اكثرها فكنا نضطرُّ ان نتقدم خمسة اميال بنصف مزالقنا ثم نعود ادراجنا ونجرَّ النصف الثاني ودمنا على ذلك شهراً من الزمان الى ان بلغنا مرتفعاً من الارض حيث نستطيع ان نبقي بعض امتعتنا ولا نضلَّ عنها فابقينا هناك كل ما يمكننا الاستغناءُ عنهُ وسرنا ببقية الامتعة والكلاب سيراً حثيثاً وجعلنا نقتر على انفسنا في الطعام فلا نأكل الاَّ قليلاً من السكر واللحم المقدَّد والبسكت ولم يعد معنا ما نطعم الكلاب فكنا نذبح الكلب منها ونطعم رفاقهُ لحمهُ فعاش بعضها على بعض . وبلغ النصب منا ان صرنا لا نستطيع في المساء رفع اقدامنا ودخول الخيمة ما لم نرفعها بايدينا . وصرنا نحلم بالطعام لشدة ما عرانا من الجوع وكثيراً ما كنت احلم ان امامي قطائف بحلوى وامدُّ يدي اليها فتختفي من امامي . وكان واحد من رفيقيَّ يحلم انهُ يأكل دائماً لكن الطعام لا يشبعهُ فيبقي جائعاً . ومرت الايام ونحن نقدَّم في سيرنا رويداً رويداً الى الحادي والثلاثين من دسمبر فبلغنا ابعد نقطة وصلنا اليها ونشرنا هناك العلم البريطاني

وها خلاصة ما كتبتهُ في يوميتي في ٢٥ دسمبر يوم عيد الميلاد سنة ١٩٠٢

اليوم من اجمل الايام واقلها برداً واصفاها سماءً ولقد اسرعنا في سيرنا بعد ان خففنا

ثقالنا فصرنا نقطع عشرة اميال في اليوم. افطرنا على قليل من اللحم والبسكت ومربى كبوش العلّيق وقد اتينا بهِ معنا من السفينة لهذهِ الغاية. اكل كلٌّ منا ملعقة منهُ ثم صوَّرت رفيقيَّ والعلَم البريطاني فوق رأسيهما. ومشينا بعد ذلك اربع ساعات وجلسنا للغداء وسخَّنا طعامنا قبل اكلهِ وكان دوري في الطبخ. ومشينا ثلاث ساعات ونصبنا خيمتنا للمبيت وسخنتُ طعام العشاء وكان عشاءً فاخرًا فيهِ الكوكوى والبلم بدن وعزمنا ان لانبعد اكثر ممَّا نصل اليهِ في الثامن والعشرين من الشهر لان علامات مرض الاسكربوط كانت قد بدت فينا

"لكننا واصلنا السير حتى الحادي والثلاثين من الشهر ووقفنا حيث وصلنا وعن يميننا جبل شاهق يناطح السحاب ارتفاعهُ اربعة عشر الف قدم والى الجنوب والشرق منا سهل منبسط من الجليد لاحدَّ لهُ غير الافق والى الشمال شمس مشرقة يتدفق النور منها وهي تدور حولنا يومًا بعد يوم من غير ان تغرب. وقد نفد اكثر طعامنا وبدت علامات الاسكربوط فينا ولم يبقَ من كلابنا الاَّ القليل وصار بُعدنا عن السفينة نحو ٣٠٠ ميل فاضطررنا ان نعود ادراجنا رغمًا عن انوفنا فحوانا وجوهنا نحو الشمال وسرنا القهقرى على ما بنا من التعب والضعف

"ثم اعترانا البهر فان نور الشمس كان ينعكس عن الثلج ويعمي بصرنا والذي يصاب بذلك يضطر ان يربط عينيهِ ويسير متلمسًا حتى اذا انقضي سير النهار لم يجد في المساء غير قليل من الطعام لا يشبع جائعًا وهاك فقرة مما كتبتهُ ونحن راجعون

"١٠ يناير مضى عليَّ يومان لم استطع ان اكتب فيهما كلمة لانني كنت مصابًا بالبهر. ذبحنا "كد" البارحة ومات "بوس" (اسما كلبين) سرنا خمسة اميال ونصف ميل قبل الظهر وثلاثة اميال ونصف ميل بعدهُ. عصفت الريح ومعها ثلج رطب فذاب الثلج في خيمتنا وقضينا الليل كأَننا في بركة ماءٍ ولم يبقَ معنا الاَّ ثلاثة كلاب"

"١١ يناير لا تزال الريح تهبُّ ومعها ثلج ناعم رطب. سرنا ثمانية اميال ولم يبقَ معنا الاَّ كلبان"

ووصلنا الى حيث تركنا امتعتنا فحملنا الطعام وتركنا كل ما سواهُ واصابني نزف دم هناك فلم اعد اعي على شيءٍ ولولا رفيقاي لقضي عليَّ فانهما جرَّا المزالق وحدهما وكانا يعاونانني على السير مع ما بهما من الضعف وبلغنا سفينتنا في الثالث من شهر فبراير فوجدنا هناك السفينة المسماة بالصباح وكانت قد أُرسلت للتفتيش عنا وانقاذنا. وذهب رفاقنا فرقًا فرقًا للبحث والاستقصاء فلقي اكثرهم من المشاق اكثر مما لقينا انتهى

وخلاصة ما يقال عن سفر هذه السفينة ان جماعة من الانكليز محبي الاكتشاف الراغبين

في مصلحة وطنهم ورفع شأنهِ واحراز قصب السبق لهُ في كل مفخرة اكتتبوا بمال لارسالها الى ابعد ما وصل اليهِ الناس جنوباً لاجل المكتشفات العلمية ولرفع العلم البريطاني على ما يمكن ان يكتشف من الاراضي فعاونتهم الحكومة الانكليزية بخمسة واربعين الف جنيه واقلعت السفينة من بلاد الانكليز في السادس من شهر اغسطس سنة ١٩٠١ بقيادة القبطان سكوت بعد ان زارها الملك والملكه فبلغت زيلندا الجديدة في اوائل دسمبر وغادرتها ليلة عيد الميلاد وكان فيها حينئذٍ ١١ ضابطاً و٣٧ بحاراً و٢٣ كلباً من كلاب المنطقة الشمالية لجر المزالق فسارت اولاً ١٠٠٠ ميل الى الجنوب ووجدت الثلج هناك فخاضت فيهِ ٥٠٠ ميل وبلغت شاطئ البر الجنوبي في ٩ ينايرسنة ١٩٠٢ والظاهر ان حول القطب الجنوبي براً واسعاً اوسع من استراليا والقطب الجنوبي في مركزهِ فلما بلغتهُ سارت بازاء شاطئهِ الشمالي ثم عادت الى لحف جبل اريس حيث شتت وهو بركان كبير يبعد عن زيلندا الجديدة نحو الفي ميل جنوباً واطبق الليل عليها من ابريل الى اغسطس وجلد البحر حولها مسافة مئات من الاميال وبقي كذلك نحو عشرة شهور فانقطعت اخبارها

وفي اوائل نوفمبر قام القبطان سكوت والدكتور ولسن والملازم سكلتون كاتب الفصل المتقدم واخذوا الكلاب كلها معهم وساروا جنوباً وجرى لهم ما أُشير اليهِ في الفصل السابق ولما رجعوا وجدوا ان السفينة التي بعثت بها الجمعية الجغرافية الملكية وهي المسماة بالمورننج (الصباح) قد جاءت لمعونتهم فاوصلت اليهم كثيراً من الزاد وكذلك وصلت اليهم سفينة أُخرى اسمها ترانوفا وبعد عناء شديد انفك الجليد من حول سفينة الدسكفري وعادت الى انكلترا بمن فيها من الرجال وما جمعوهُ من الآثار الطبيعية وما كتبوهُ من الارصاد الجوية والفلكية وكان لرجوعها شأن كبير في اوربا وقد جاءتنا شركة روتر التلغرافية بتلغراف في اول ابريل من مدينة لتلتون تقول فيهِ "وصلت السفن الثلاث المرسلة الى جهات القطب الجنوبي (وهي دسكفري ومورننج وترانوفا) وقد ادركت الاخيرتان الاولى في فبراير فوجدتا كل من فيها بخير وقضى علماؤُها والرواد فيها فصل الشتاء سنة ١٩٠٣ في ابحاثهم العلمية ثم جاء الربيع وكلهم في الصحة والاعتدال وقد تحققوا ان بلاد فكتوريا لند تمتدُّ الى الداخل على ارتفاع تسعة آلاف قدم فاستدلوا من ذلك على وجود بر واسع مرتفع حول القطب الجنوبي" هذا شأن الاوربيين يبذلون النفس والنفيس في البحث والاستقصاء لكي تتسع معارفهم ويكون لهم السبق في كل شيء

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوَّلة

الجيم الفصحى

وقفت على ما جاء في الجزء الثاني من تقريظ كتاب "تدريب اللسان على تجويد البيان" لاستاذنا العلامة الفاضل الشيخ طاهر الجزائري فالفيتكم تقولون ان المؤلف يحسب لفظ الجيم كان اصلاً كما يلفظهُ المصريون لا كما يلفظهُ السوريون وطلبتم من المؤلف اسناد ما ذكرهُ عن الجيم من انها من الحروف الشديدة ليكون ذلك فصل الخطاب في مسألة طال الخلاف فيها .

اما كون الجيم من الحروف الشديدة فقد نصَّ عليهِ سيبويهِ في كتابهِ فقال : ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت ان يجري فيهِ وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء وذلك انك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجرِ ذلك

واما رأي المؤلف في الجيم فقد ابانهُ في جدول الخط السرياني بقولهِ "فائدة لا يوجد في السريانية جيم ولا ضاد ولا ظاء والمراد بالجيم الجيم التي ينطق بها فصحاء العرب وهي معروفة عند علماء التجويد ولها قربٌ ما من الجيم المصرية والنطق بها صعب الأعلى من تلقَّاها من اهلها" — وقد اشبع المؤلف الكلام على ما يتعلق بهذه المسألة في رسالة لهُ تتعلق بالحروف تقع في مئتي صحيفة وهي لم تُطبع بعد . وخلاصة ما يفهم منها ان من العرب من ينطق بالجيم كما ينطق بها المصريون فيقولون في جمل كمل ومنهم من ينطق بها كما ينطق بها السوريون اعني ممزوجة بالشين فتكون كما ذكرتم اما رخوة او بين بين ومنهم من ينطق بها بين الجيم المصرية وبين الجيم السورية وهم فصحاء العرب اعني قريشًا ومن نحا نحوهم . وقد ذكر سيبويهِ في آخر كتابهِ هذه الانواع الثلاثة في باب عدد حروف العربية واشار فيها الى ان الجيم المصرية ليست في لغة الفصحاء فقال في اثناء عدد الحروف : وتكون اثنين واربعين حرفًا بحروف غير مستحسنة ولا

كثيرة في لغة من تُرتضى عربيتهُ ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء ٠ فالكاف التي بين الجيم والكاف هي الجيم المصرية بعينها والجيم التي كالشين هي الجيم السورية وقد ذكر انهما من الحروف التي لا تستحسن في قراءة القرآن فبقي معرفة الجيم التي تستحسن في قراءة القرآن وهي المعروفة عند القراء يتلقاها جماعة عن جماعة وهي بين الجيم المصرية والجيم السورية الاَّ انها الى الجيم السورية اقرب ولذلك لا يشعر السوريُّ حين نُطْق القرَّاء بها بانهم نطقوا بخلاف ما ينطق بها الاَّ ان ينبَّهَ فاذا نُبّهَ شعر بالفرق فاذا كلف النطق بها كذلك ربما عسر عليهِ الامر الاَّ ان يشتغل مدة بممارستها ٠ واما المصريّ فانهُ يشعر حالاً بمخالفة جيمهِ لجيمهم بسبب ظهور الفرق بينهما

وقد اشار المؤلف في كتابهِ « ارشاد الالبا الى تعليم الف با » الى صعوبة النطق بها على من لم يمارس النطق بها من اول الامر وانهُ بقي يمارس النطق بها نحو ثلاثة اشهر ٠ وهذه الجيم الفصحي يتيسر لكل احد تلقيها من القرَّاء وهم في بلاد مصر اكثر من غيرها ٠ فتبين بما ذكرنا ان الجيم المصرية بعيدة جدًّا عن لهجة الفصحاء ولذلك جعلها سيبويه من الحروف العجمية فقال في باب اطراد الابدال في الفارسية يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم الجيمَ لقربها منها ولم يكن من ابدالها بدٌّ لانها ليست من حروفهم وذلك نحو الجزر والآجر والجورب وربما ابدلوا القاف لانها قريبة ايضاً قال بعضهم قربز

ثم ان النطق بالجيم كما ينطق بها المصريون هي لغة اهل اليمن قال في حلية اهل الكمال في حل اسئلة الجلال نقلاً عن ابن دريد في بيان الحروف التي ليست بفصيحة ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف و بين الجيم والكاف وهي لغة سائرة في اليمن مثل جمل اذا اضطروا قالوا كمل فاما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدًّا فيقولون الكوم في موضع القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف اه

وقد اشار لهذه المسألة العلامة المنلا علي القاري في شرح المنظومة الجزرية عند قول الحافظ ابن الجزري " واحرص على الشدة والجهر " فقال وخص الجيم بالذكر من بين حروف الجهر والشدة ايضاً لاخراج اهل مصر والشام اياها من دون مخرجها فينتشر بها اللسان فيمزجونها بالشين وكذا بعض اهل اليمن يمزجونها بالكاف لارتفاع اللسان في مخرجها ٠ ومرادهُ باهل مصر هنا المشتغلون بالعلم منهم كما لا يخفى

ثم اقول اتماماً للفائدة ان الجيم المصرية يسميها بعض المتقدمين بالكاف الفارسية لكتابة

الفرس بها بصورة كاف تميز بنقطة فوقها مثل كل بمعنى الورد ويسميها بعضهم بالقاف المعقودة نطق اكثر البدو بها كما ينطق المصريون بالجيم . فينطقون بلفظ قال كما ينطق المصريون بلفظ جال . وقد ذكر العلامة ابن خلدون هذه القاف المعقودة فقال . ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار شأنهم في النطق بالقاف فانهم لاينطقون بها يضاً من مخرج القاف عند اهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انهُ من اقصى اللسان وما فوقهُ من الحنك الاعلى وما ينطقون بها ايضاً من مخرج الكاف وان كان اسفل من موضع لقاف وما يليهِ من الحنك الاعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود الجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق . ثم ذكر ما يوهم ان القاف المعقودة اقرب لان تكون ي اللغة الفصحى من لغة اهل الامصار وفيما قال نظر لما لا يخفى من ان للغة وحروفها اذا طال ليها العهد لابدَّ ان يلحقها التغير وان لم يخالط اهلها غيرهم . وترجيح القاف التي ينطق بها اهل لامصار انما كان لبقاء تلقي لهجة اللغة الفصحى في اللغة العربية في السنة القراء الذين صرفوا وقاتهم للعناية بذلك وهم في كل عصر الوف ولا يختلفون في النطق بحرف من الحروف مع خلاف اماكنهم واختلاف لهجات اهل بلادهم

وهنا اختم هذه العجالة بذكر الاسئلة المشار اليها قبل وهي اسئلة اوردها العلامة جلال لدين السيوطي على علماء عصرهِ الذين قاموا عليهِ قومة واحدة لما ادعى الاجتهاد وصاروا رسلون اليهِ اسئلة فارسل لهم سبع اسئلة تتعلق بالف با فعجزوا عنها ونص عبارتهِ كما ذكرها واعلم انني كنت قديماً حررت سبع اسئلة متعلقة بحروف المعجم ولم يجب احد عنها الى الآن نها من ادعى انهُ في العلم والفهم تقدم فليجب عما استبهم من الاسئلة المتعلقة بحروف المعجم من عجز عن تقرير الف با تا ثا فليستضعف نفسهُ عن ان يقرر ابحاثا وهي هذه السؤَال الاول هذه الاسماء الف با تا ثا الى آخرها وما سماها وهل هي اسماء اجناس او اسماء اعلام فان كان الاول فمن اي نوع الاجناس هي وان كان الثاني فهل هي شخصية او جنسية فان كان لاول فهل هي منقولة او مرتجلة فان كان الاول فممَّ نقلت أمن حروف ام من اسماء اعيان ام صادر ام صفات وان كانت جنسية فهل هي من اعلام الاعيان او المعاني

الثاني من وضع هذه الحروف وفي اي زمن وضعت وما مستند واضعها هل هو العقل ام النقل

الثالث هل هي مختصة باللغة العربية او هي عامة في جميع اللغات

الرابع الالف والهمزة هل هما مترادفان او مفترقان وعلى الثاني فما الفرق بينهما وايهما الاصل

الخامس لمَ اجمع علماء اللغة والعدد وغيرهم من المتكلمين على المفردات على الابتداء بحرف

الهمزة وهل هو امر اتفاقي او لحكمة

السادس كلمات ابجد هوز الى آخرهن هل هي مهملة او مستعملة وما عُني بها وما اصلها وكيف نقلت الى المراد بها وما ضبط الفاظها

السابع ما حكمها في الابتداء والوقف والمنع من الصرف والصرف والتذكير والتأنيث والاعراب والبناء واللفظ والرسم وعند التسمية بها وما حكمها شرعاً عند نقشها على ثوب او حائط او سقف وهل لها من الحرمة ما للحروف المجتمعة

فهذه سبعة اسئلة من اجاب عنها فهو من فحول الرجال والا فلا مزية لهُ على الاطفال اه

والذي دعا الجلال الى ايراد الاسئلة من الف با اعراض علماء عصرهِ عن مباحثها وعن مباحث ما يتعلق بسر اللغة مع انهُ كان في القديم من اعظم الفنون مقاماً. وحبذا لو عني اهل كل قطر بتأليف كتاب في لغة عامتهم وبيان اللهجات التي فيها وما تخالف بهِ اللغة الفصحى او توافق وبيان السبب الموجب لذلك وبيان الطريق الذي يمكن بهِ تقريب اللغة العامة من اللغة الفصحى ففي ذلك من الفائدة ما لاينكرهُ باحث مستفيد. هذا ومن اغرب ما سمعتهُ من ارباب السياحة ان اللغة السورية قد ترقت في هذا العصر ترقياً زائداً حتى كادت تكون كتابة عامتهم موافقة لكتابة اللغة الفصحى ولعل ذلك من انتشار المدارس والصحف النافعة والمطابع ومن رأي هذا السائح ان الاعتناء اذا ازداد ربما صارت اللهجة فيها بدرجة اللهجة العربية في زمن المامون وفي ذلك بشرى لاهل العربية والله اعلم

محمد كرد علي

خطر علينا وعلى الدين

اطلعت على المقالة المدرجة في العدد الثالث "خطر علينا وعلى الدين" ولما اعطيتها جانباً من النظر والتأمل رأيتها كافية في بيان الداء الذي يخشى ان يصير بعد عضالاً لايرجى لهُ شفاء وقد احببت ان ارى فكر غيري في هذه القضية فبحثت بحث مسترشد حفي ناظر الى ما انطوى عليهِ الناس من طرف خفي فتبين لي ان من لهم ولوع بالدين على وجهِ الحقيقة يقدرونها قدرها ويعتقدون ان صاحبها ناصح امين صدع بالحق ولم يخشَ لومة لائم وحامى عنهُ وان رماهُ المموهون بالعظائم يذكرهُ بعضهم بالخير جهراً وبعضهم سرًّا وانما ساءت القسم الذين اشار اليهم بانهم اتخذوا الدين جُنّة لينالوا بهِ ما شاءوا من الاغراض وهم في الواقع قد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية واكثرهم معرضون عما ورد فيهِ من الاوامر والزواجر وعمّا حث عليهِ من محاسن الاخلاق ومكارم الشيم التي بها قوام الامم وانما يهمهم تفريق الامة شيعاً ليستتبع كل رئيس

بعتهُ منهم يستعبدهم فيما شاء تارة بكفرِ من سوى فريقهِ وتارة يبدّعهُ حتى وصل الامر الى ن يشك اهل الترنسفال في جواز اقتداء الحنفي بالشافعي او الشافعي بالحنفي فطلبوا الفتوى في لك دفعاً لما وقع في نفوسهم من الشك

هذه الفرقة وان لم يخلُ منها عصر ومصر كما يظهر مما ذكرهُ الامام الغزالي في كتاب يصل التفرقة بين الاسلام والزندقة حيث قال في العلماء الذين كفّروهُ لما قام بالاصلاح : انى تتجلى اسرار الملكوت لقوم الههم هواهم ومعبودهم امراؤهم وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم شريعتهم رعونتهم وارادتهم جاههم وشهواتهم وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم وذكرهم وساوسهم وكنزهم سوّاسهم وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيهِ حشمتهم فهؤلاء من اين تتميز لهم ظلمة الكفر ن ضياء الايمان ابإلهام الهي ولم يفرغوا القلوب عن كدر الدنيا لقبولها ام بكمال علمي وانما اعتهم في العلم مسألة ازالة النجاسة بماء الزعفران وامثالها . . .

يد ان امثال هؤلاء الجماعة في عصر الغزالي وقبلهُ كانوا اقل من عصرنا بما لا يحصى على يظهر لمن تتبع التاريخ تتبع محقق مدقق ولذلك كان الخطر الآن اشد واعظم وكان النصح يه مما يتحتم . غير ان بعض من يرجع لآرائهم يرى ان خمسين عاماً تكفي لتناهي الخطر ان بتداركهُ ارباب الدين الذين هم اهلهُ على التحقيق لا على المجاز . والرجاء ان يقوم هولاء عليهم نهاية القيام ولا يبالوا بالفريق الآخر الذين لايهمهم صلاح الدين والدنيا وانما نهاية رهم ان ينالوا ما يبتغون من المآرب الدنيا

عن جزيرة العرب متعلّم متألّم

مثال الكمال

تظلُّ الخضراءُ وتقلُّ الغبراءُ افراداً قلائل اتصفوا بالفضائل وعشقوا الكمالات فكانوا حض فائدة في المجتمع البشري فمن العدل احياءُ ذكرهم ليظلوا على الدهر قدوة لغيرهم ومن ذه الزمرة فقيد الفضيلة محمد علي افندي مسلم احد دعاة الاصلاح في هذه الديار ومن علمائها عاملين . لقِي ربهُ في دمشق الشام سلخ الشهر الغابر عن اربعين عاماً في عمرهِ وهمهُ انكار نكر وامر بمعروف وغايتهُ ان يرى لقومهِ مجداً موثلاً في العلم والعمل وفضيلة رافعة في الدارين

نال الفقيد من العلوم الدينية واللسانية حظاً وافراً ووقف من الفلسفة والتاريخ والطبيعة لى طرف صالح وما قصد بعلمهِ الاَّ تنوير عقل وتثقيف خلق واطلاعاً على مجهول . وتعلم اكثر ا تعلم بالدرس وحدهُ دون ارشاد معلم الاَّ في النادر وبلغ ما بلغ من الفضل وهو بعيد عن

طلب الشهرة مؤْثر للخمول دون الظهور بحيث لم يكن يعرفهُ حق معرفتهِ الاَّ اصدقاؤُهُ وهم كثيرون في كل المذاهب والنحل اذ من طبعهِ بغض التعصب كيف كان نوعهُ ومن عادتهِ ايناس وحشة جليسهِ وسلامة الذوق في بث الافكار الصحيحة حتى كان يعلم مخاطبهُ ان كان لا يعلم دون ان يشعرهُ بانهُ قاصد لذلك

فبينما كنت ترى الفقيد متصوفًا متشددًا على من ينكر على المتصوفة اذا هو يباحثك في الحكمة الطبيعية مباحثة من ذاقها فعرفها . يبحث في التاريخ والادب ثم لا يلبث ان يتكلم في الشؤُون السياسية والاجتماعية فكان يحب كل عالم ويدعو الى كل نافع . فضيلة مجسمة وزهد مع علم وعمل . وللفقيد من التآليف كتابان لم يطبعا الاول في حروف المعاني في علم النحو جمع فيهِ فاوعى والثاني في علم الادب تصفح من اجلهِ جلَّ ما عُرف من دواوين الشعر واسفار الادب ولهُ بعض مقالات في الاصلاح الاسلامي نشرها في بعض المجلدات مغفلة من اسمهِ ولهُ شعر مليح ونثرهُ لطيف يغلب عليهِ السجع . وكان من اصدقاء المقتطف وهو الذي فتح لهُ باب الولوج في المباحث العصرية العالية وزاد في ولوعهِ فيها . وكان ذكورًا لمعظم الابحاث التي وردت في كل سنة من سنيهِ ولم يكن يعرف لغة اجنبية وانما طالع كلَّ ما نقل الى العربية من كتب الافرنج وكان يقول ان العرب كتبوا في كل فن واجادوا . رحمهُ الله وعزى بهِ مكارم الاخلاق وعشاق العلم الصحيح (م . ك)

البابية

حضرة العالمين العاملين منشئي المقتطف

اطلعتُ علي ما كتبتموهُ في الصفحة ١٨١ من مجلَّة المقتطف هذه السنة ممَّا يدلُّ على انكم مرتابون في صحَّة ما نقلناهُ عن كتب البابية فرأَينا ان نكتب هذا الى حضرتكم لدفع الريب وقطع الشبهة

فاولاً ان الكتاب الذي ارسلناهُ الى حضرتكم نشرناهُ في العراق وايران والهند وبلدان كثيرة بين المخالف والموافق وارسلناهُ الى الامراء والوزراء والسفراء حتى الى حضرة مفتي عكاء وكتبنا اليهِ ان يعطيهُ بعد ما يطالعهُ لعباس افندي رئيس البابية حتى يطالعهُ . فالعاقل لا يفعل ذلك الاَّ اذا كانت كتب البابية في يدهِ . ولكنكم معذورون في ريبكم لانكم رأيتم عجبًا لم تروا قبلاً شيئًا مثلهُ ولذلك احضرنا الكتب التي نقلنا عنها الى حضرة وكيلكم في بغداد

اود افندي فتو الصيدلاني واريناهُ اياها مرأى العين فوجد النقل عنها طبق الاصل حرفيًّا لا بدَّ من ان يكتب اليكم في ذلك

بغداد الحاج حسينقلي جديد

[المقتطف] وكتب الينا حضرة وكيلنا داود افندي فتو يقول انهُ اطَّلع على الكتب وجد النقل عنها صحيحًا وبعث الينا بكتاب من كتب البابية. فخطر على بالنا ما قالهُ احد الحكماء وان الانسان يبقى معتمدًا على عقلهِ حتى يصل الى الدين ويبقى معتمدًا على دينهِ حتى يصل ل المال وهو حكم اغلبي

شكوى بريطانيا الى الآلهة

للمستر كارنجي المثري الشهير (١)

استمع لي يا ابا الالهة واصغي اليَّ ايتها الارباب فان تجارتي الخارجية لا تزيد على ٩٠٣٣٦٣٠٠٠ من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — يا غامطة النعمة أكانت تجارتكِ في عام من الاعوام اكثر اهي الآن وهل قاربتها تجارة امَّة اخرى . لو قُسمتْ على ما فيكِ من النفوس لاصاب نفس واحد وعشرون جنيهًا ونصف جنيه ويصيب النفس في فرنسا ثمانية جنيهات واحد عشر لنًا لا غير وفي المانيا ثمانية جنيهات وستة شلنات وفي الولايات المتحدة ستة جنيهات ثلاثة شلنات

وانتَ يا نبتون اله البحر ويا تريتون اله الابواق يا حارسي سلطان بريطانيا على البحار ظرا اليَّ فان ما تشحنهُ سفني لا يزيد على ستة عشر مليونًا وستمئة الف طن

الجواب من مجمع الالهة — طمع اشعبيٌّ . ان ما تشحنهُ سفنكِ على ازدياد مستمرّ ولم يكن ط اكثر منهُ الآن وهو يزيد على كل ما تشحنهُ الامم الاخرى جمعاء فاحترسي لئلاَّ تغيظي لآلهة بغمطكِ النعمة . ولا يقعنَّ في بالكِ ان امَّة واحدة تبقى فائقة على كل الامم . فستزيد فنكِ التجارية وستزيد ايضًا سفن سائر الامم وربما زادت اكثر مما تزيد سفنكِ

وانت يا ميداس ملاك الذهب هلمَّ لمساعدتي فان ثروتي لا تزيد على ١١٨٠٦٠٠٠٠٠ لايين من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — هذه ثروة لم تعطَ لغيركِ من الامم ولا يفوقكِ فيها الاَّ ابنتك

---

(١) نشرت في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وقد فاتنا نشرها مع المقالات فنشرناها هنا

الولايات المتحدة ولكن اذا وُزِّعت ثروتها على النفوس التي فيها خصَّ النفس منهم اقل مما يخص النفس من شعبك

وانت يا فلكان العظيم اله العمق التفت اليَّ واغثني فانني لم استخرج من جوف الارض سوي تسعة ملايين طن من الحديد وخمسة ملايين طن من الفولاذ وما استخرجهُ من الفحم الحجري وهو ٢٣٠ مليون طن تفوقني فيهِ الولايات المتحدة

الجواب من مجمع الالهة — ان ما استخرجتهِ من الحديد والفولاذ هو اكثر مما كنتِ تستخرجين منهما وهو بالنسبة الى ما فيكِ من النفوس اكثر مما يُستخرج في المانيا وفي الولايات المتحدة . اسمعي نصح الآلهة ولا تزيدي في ما تستخرجينهُ من الحديد طنًّا واحدًا الاَّ بعد ان تكتشفي مناجم جديدة والاَّ نفد ما عندكِ سريعًا وندمتِ حيث لا ينفع الندم . وما تستخرجينهُ من الفحم مضاعف ما يستخرج من الولايات المتحدة ومن المانيا بالنسبة الى عدد النفوس وكذلك ما تحرقينهُ منهُ اكثر مما يحرقهُ غيركِ نفسًا لنفس

وانت يا ديوكاليون اله النمو اسمع شكواي واغثني فان شعبي لا يزيد على اثنين واربعين مليونًا ونموهُ بطيء . في روسيا مئة وعشرون مليونًا ونموها سريع والمانيا نمت حتى فاقتني عددًا وزيادتها السنوية مضاعف زيادتي وفي اميركا مضاعف ما عندي من السكان وقد زادت في السنوات الثلاث الاخيرة اكثر من مليونين وشعبي لا يزيد اربع مئة الف في السنة فعددهُ آخذ في القلَّة بالنسبة الى غيرهِ فاغثني يا اله النمو

الجواب — انكِ لا تعلمين ما تطلبين ففي الميل الواحد من انكلترا وويلس اكثر من خمس مئة نفس وهذا الازدحام لامثيل لهُ في ممالك اوربا الكبرى ففي الميل المربع من المانيا ٢٧٠ نفسًا ومن فرنسا ١٩٠ نفسًا ومن روسيا ١٥ نفسًا ومن الولايات المتحدة اقل من ثلاثين نفسًا ومن كندا اقل من نفسين . ثم ان قوام ابنائك آخذ في الضعف فيرفض كثيرون منهم كل سنة لانهم لا يصلحون للخدمة العسكرية والملايين منهم يكادون يموتون جوعًا . فالالهة لا تستجيب دعاءكِ شفقة منها عليكِ لانهُ ان زاد عدد ابنائك ضعف شانهم وقلت قوتهم

اسمعيني وساعديني يا منرفا الهة الغزل والحياكة فانهُ ليس عندي سوى اربعة وخمسين مليونًا من المغازل

الجواب — لقد اغظتِ الآلهة . فان ممالك الارض كلها ليس فيها مقدار ما فيكِ . كفاكِ دلالاً وقولي لنا ماذا يرضيكِ . هوذا اهالي اميركا وعددهم مضاعف عدد اهاليكِ ليس عندهم من المغازل نصف ما عندك . فاسمعي وعي ذلك في ذهنك ان القطن لابدَّ من ان يزيد نسبةُ

حيث يكثر زرعهُ وهذا امر محتوم لا تستطيع الالهة منعهُ فاذا استطاع ابناؤُك ان يحتفظوا بالمقام الذي نالوهُ في صناعة القطن خلَّدوا لهم ذكرًا لا يمحى وطالب الزيادة طالب المحال

اسمع لي يازفس واصغوا ايها الارباب الى دعائي و بينوا لي لماذا لم اعد ازداد في كل شيء كما يزداد مناظريَّ فان هذهِ هي شكواي وهذهِ هي علة بلواي

الجواب — لان الآلهة انعمت عليكِ اولاً حتى امتلأَت كأسكِ دهاقًا وهي الان تسكب لبقية الامم ما فاض عن كاسكِ فما ينالها لا ينقص شيئًا ممَّا نالك . وان الجزية لتأتيك من كل الممالك من غير استثناء فليسرك تقدُّم الامم لانهُ يعود عليكِ بزيادة التقدم والرخاء واذا تأخرتْ هي تأخَّرتِ انتِ معها . ويستحيل على الالهة ان تفرغ في كاسكِ اكثر ممَّا تسع وان تزيد خير بلادكِ وهي محدودة الجوانب . ولا بدَّ من افراغ الخير في كؤُوس غيرك ولا سيما الذين من لحمك ودمك . ولا تلومي الالهة على صغر كاسكِ لان تغييرها ضرب من المحال وقد بلغت مملكتكِ حدها من النمو او كادت ولم تبلغ مملكة اخرى ما بلغت فلا تطلبي المحال كما يطلب الاطفال مسك القمر

اليكِ التفتُ ياسرس الاهة الحصاد واطلب منك العون حتى يصير عندي من الطعام ما يكفيني ولا ابقى معتمدة على الجمهورية الاميركية في غذائي وكسائي فانها اذا منعت عني قطنها اوقعتني في ضيقة لا مثيل لها واذا منعت عني قمحها اماتتني جوعًا واذا القي في الاذهان انها عازمة على ذلك عزمًا اصاب ابنائي عارض من الجنون لان ليس في بلادي من الطعام ما يكفيهم اكثر من بضعة اسابيع

لقد سبقت الالهة ورأَت ذلك وامرت بهِ خير بريطانيا . لو نشبت الحرب بين انكلترا وبين الدول الثلاث فرنسا والمانيا وروسيا لما منعن اليابان من اغتنام ما غنمت في حربها مع الصين فماذا كان يحلُّ بكِ حينئذٍ اذا كان قوتكِ من املاككِ فان بوارج هذهِ الدول كانت تصادرهُ وتقبض على كل ما يرد منهُ اليكِ اما الآن وطعامك من الولايات المتحدة وهي ترفع علمها على سفنها وتمنع كل احد من مصادرتها بدعوى ان مواد الطعام ليست ممَّا يصادَر . فتأملي في ذلك كلهِ واشكري الالهة على ما دبرتهُ لكِ

اني شاكرة لكِ ايتها المعبودة ما تفضلت بهِ ولكن ماذا يكون حالي لو نشبت الحرب بيني وبين الولايات المتحدة

اليكِ عن هذه المخاوف فان الآلهة قضت بان كل خلاف يقع بينك و بينها يُفصَل بالتحكيم فالحرب بينكما ضرب من المحال لانهُ يوم تسوّل لك نفسكِ محاربتها ومهاجمة ثغورها تموتين

جوعاً فضلاً عن ان مدنها البحرية لا يوصل اليها لان لها مداخل تُسَد في يوم واحد وهي لا تستطيع الهجوم عليكِ في جزيرتكِ فانتما اضعف الممالك واقواها اضعفها اذا اختلفتما واقواها اذا تفقتما · ثم اذا عزمتِ على محاربة الولايات المتحدة وهذا امر قضت الالهة بمنعهِ فلا تظنين انهُ يصلكِ شيءٌ من الطعام من كندا فانفِ الغرور من نفسكِ · وابناءُ اللغة الانكليزية لا يتحاربون بعد الآن وانما يتحدون لمحاربة غيرهم لغرض شريف · هذا ما قضت بهِ الالهة فاعلمي وعي هذا في ذهنك وهو ان اعتمادكِ في طعامكِ على الولايات المتحدة خير لكِ من اعتمادكِ فيهِ على مستعمراتكِ لانهُ يكون حينئذٍ عرضة للمصادرة كلما نشبت حرب بينك وبين خصومكِ · هذا ما قضت بهِ الالهة لخيركِ ولقد كان ضرباً من الجنون منكِ ميلكِ الى تكدير العلاقات بينكِ وبين الولايات المتحدة فلا توقظي الفتنة ولا تحاولي المحال

يا كبير الالهة يا زفس الرهيب اكشف لي عن مستقبل أُمتي لئلا يحلَّ بي القنوط فان كانت الالهة حكمت ان كأْسنا امتلأَت ولم يبقَ لنا سبيل لنزيد عدَداً وعَدَداً وثروةً ومنعةً فالامم التي حولنا ستفوقنا وتنقلب علينا ونصير منها في المنزلة الخامسة بعد ان كنا في المنزلة الاولى فاشفق علينا يا كبير الالهة فاننا منك نطلب العون والحفظ

الجواب – لا تخافي ايتها السيدة الكريمة لانهُ لم يقدَّر شيءٌ من ذلك لابنائكِ فقد كنتِ عزيزة في عيون الالهة ولا تزالين عزيزة في عيونها ولن تزالي ولقد قدَّرت لك ولابنائك السيادة على المسكونة · وانتِ وابناؤُك عزاز في عيون الالهة بل انت اوفر منهم عزةً وسيبقى صولجان الملك في يدك · فافرحي وسري وثقي بالآلهة وليكن ذلك ختام المقال

قف قف واخبرني كيف ومتى واين

فتجلَّت موتا الاهة الصمت وسمِع في الهواء ركز خفيف يقول كفى كفى لا تطلبي المزيد انما الالهة تعلم مصير الامور وبين بني آدم من يستطيع الانباء بذلك ولكن ختمت الالهة على شفتيهِ فلا يتكلم

ختمت الالهة على شفتيهِ لكن الحبور طافح على قلبهِ لعلمهِ ان مستقبل امتهِ يفوق حاضرها وماضيها وان الالهة قدَّرت لها قيادة العالم ويوم مجدها غير بعيد يراهُ كثيرون من قارئي هذه السطور

بابُ الزراعةِ

دود الحرير واكتشاف جديد

لا يخفى ان للفحص المكرسكوبي فائدة كبيرة في اكتشاف اسباب الامراض التي تصيب الناس والحيوانات ومن هذا القبيل اكتشاف اسباب الامراض التي تصيب دود الحرير . واوَّل ما اكتشف ذلك العلامة باستور فخلَّد بهِ ذكرهُ وافاد العالم اجمع . وقد اخذت منذ مدة في تبزير دود الحرير وفحص فراشهِ على طريقة باستور وكتبتُ كتاباً في هذا الموضوع سميتهُ "المرشد الخبير في تربية دود الحرير" ورأَيت الآن ان انشر السطور التالية على صفحات المقتطف لان فيها وصف اكتشاف مهم توفقت اليهِ فاقول

اولاً ان من افتك الامراض التي تطرأُ على دود الحرير مرض الفلاشري (الذبلان) الذي يصيب الدود ويستحيل على الفاحص المدقق معرفتهُ في اول نشأَتهِ لانهُ لا يدرك بالفحص الاَّ بعد بلوغ ميكروبهِ اشدَّهُ من النمو . ولانتشار هذا المرض اسباب منها رطوبة الهواء وقتما يتراكم الضباب . ومنها اطعام الدود ورقاً تقلُّ فيهِ المادة الهلامية الحريرية كورق التوت النامي في ارض سبخة او غير مسمَّدة تسقى مراراً في فصل الصيف

ويظهر ميكروب هذا المرض بالفحص على هيئة كريات بيضية الشكل يتصل بعضها ببعض على شكل خرز السبحة و يظهر لي ان البلاد المشهورة بجفاف هوائها كسهل البقاع و بلاد بعلبك وخصوصاً ضواحي بلودان وحوران لا يصيب دودها هذا المرض . فاذا أُخذ البزر منهُ اغنى عن جلبهِ من البلاد الاوربية لاسيما وان الدود الاوربي ليس سليماً من هذا المرض رغماً عن كل الوسائل التي تستخدم لسلامتهِ كما ظهر لي من فحص الفراش المرسل لي من اماكن كثيرة منها وذلك لرطوبة هوائها

ثانياً الطوارىءِ الجوية التي تضرُّ بالدود كريح السموم (الشرقية) كما حدث سنة ١٩٠١ حين صعدت درجة الحرارة الى ما بين ٢٧و٣١ بميزان سنتغراد وذلك من ١٤ اذار (مارس) الى ٢٩ منهُ وافضت الى محل اكثر مواسم سورية . فعلى القزازين ان يبذلوا الجهد لكي لا يتعرض البزر للشرقية ولذلك يجب ان يضعوهُ حينئذٍ في غرف سفلية مغلقة النوافذ و ينشروا فيها شراشف مبللة بالماء واذا حدثت الشرقية في زمنٍ نمو الدود وجب تبريد اماكنهِ وعدم

الزيادة في علفهِ وذلك على ضد ما يفعلهُ اكثر القزازين لان الدود يأكل كثيرًا وقت الشرقية والغالب ان يعقب الشرقية برودة في الهواء بغتة فلا يعود الدود قادرًا على هضم ما اكلهُ فتنحرف دورتهُ المعوية والكبدية ويظهر فيهِ المرض المعروف بالقياح

اذا ظهر مرض الببرين او الفلاشري او المسكردين في دود الحرير تبقى جراثيمهُ المعدية في البيوت والادوات التي يربى فيها الدود من سنة الى سنة فيجب قبل استعمالها لتربية الدود كل سنة ان تبخَّر وتطهَّر بالعلاج المعروف بالانتميكروب Antimicrobe المحضر في علب ذُكرت معها كيفية استعمالهِ وبيان فوائدهِ. واذا وضع هذا العلاج على النار تصاعد منهُ دخان وبخار غازي يدخل ادق المسام ويهلك الميكروبات وبزورها مهما كان نوعها · ويمتاز عن التطهير باحراق الكبريت ان الحامض الكبريتوس يغيّر الالوان ولا يميت بزور الميكروبات · ويمتاز عن البخار الشائع التطهير بهِ بسرعة استعمالهِ ورخص ثمنه وبتخللهِ ادق المسام وقد جرَّبهُ نخبة من وجهاء بيروت ولبنان واعترفوا بفوائدهِ لمواسمهم وقد طُهّرت بهِ محلات كثيرة ملوثة بالجدري والدفتيريا والسل والتيفويد فلم تظهر عدوى الامراض المذكورة فيها بعد ذلك · وطهر بهِ اسطبل تواترت فيهِ عدوى الخيل بالسراجة فلم تعد الخيل تصاب بالمرض المذكور

وقد قدَّمت هذا العلاج الى المدرسة الكلية الاميركية في بيروت ففحص في معملها الكيماوي وأُعطيت الشهادتين التاليتين وهذا تعريبهما

الشهادة الاولى

ليعلم انني في هذا اليوم السابع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٠٠ حللت تحليلاً كيماويًا المركب الذي اكتشفهُ الدكتور اسعد بك سليم لتطهير البيوت ونحوها وذلك في معمل المدرسة الكلية السورية الانجيلية الكيماوي فوجدتهُ يحتوي على مواد كيماوية تتبخر بسهولة وتفعل بالميكروبات فعلاً شديدًا وتهلكها ولذلك امضيت هذهِ الشهادة وختمتها بختم المدرسة

ولتر بوث ادمس

استاذ الكيمياء في المدرسة الكلية السورية الانجيلية

الشهادة الثانية

المدرسة الكلية السورية الانجيلية في ٢٧ يناير سنة ١٩٠٣ عرضت بعض النقاعيات لابخرة مركب استحضرهُ الدكتور اسعد بك سليم فاماتتها الابخرة حالاً · ومن المحتمل انها تفعل هذا الفعل عينهُ بالبكتيريا ولذلك امضي هذهِ الشهادة واختمها بختم المدرسة

الفرد عالي داي
استاذ الطبيعيات في المدرسة الكلية السورية

رعليهِ . فان الاختبارات المتعددة المثبتة فائدة هذا العلاج تستوجب اذعان القزازين واقبالهم على تطهير بيوتهم وادوات القز بهِ لازالة جراثيم العدوى منها

رابعاً ان ميزانية القز الجيد هي فطرتهُ الثالثة بين اليوم الخامس عشر والسابع عشر ويظهر المرض فيهِ على نسبة تأَخر هذه الفطرة فيكون من الضروري اسراع نمو الدود في صغرهِ لكي يتغلب على جراثيم الامراض الكامنة في بنيتهِ اما الذين يؤَخرون الدود اولاً بقصد الحاق ما يأتي بعدهُ بهِ فانذرهم بعطل موسمهم . ويجب الانتباه الى تهوية اماكن تربية الدود لان الهواء الفاسد يضرُّ بهِ

خامساً اذا ظهر مرض الدود في اثناء تربيتهِ فيجب رفعهُ محمولاً على الورق وترك الضعيف العليل الذي لا يتعلقُ بالورق وابعاد السليم عن العليل ومتابعة علف السليم وحدهُ وبذلك ينجو من المرض

اسعد سليم

(المقتطف) وقد بعث الينا بالشهادتين الاصليتين مختومتين بختم المدرسة الكلية

فوائد في زراعة القطن

اطلعنا على مقالة مسهبة في زراعة القطن في مجلَّة الهند الغربية اقتبس كاتبها كثيرًا مما ذكرهُ المستر فودن في مجلة الجمعية الزراعية مما اتينا على ذكرهِ في المقتطف وزاد عليهِ اموراً كثيرة جليلة الفائدة فلخصنا منها ما يلي

اشار المستر فودن في ما كتبهُ عن القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند الى انهُ يزرع في الجزيرة المعروفة باسم جمس ايلند وهذه الجزيرة هلالية الشكل طولها ٩ اميال وعرضها من ١/٢ ميل الى ٧ اميال وفيها ١٢٠٠٠ فدان بعضها اراضٍ زراعية وبعضها حراج او مستنقعات واكثر سكانها من السود فان البيض يبلغون ٣ في المئة من السكان ولهؤُلاء السكان الفضل في انهم اصلحوا زراعة القطن وابلغوها ما بلغتهُ من الاتقان بعمل المصارف تحت وجه الارض يزاد بها خصب الارض

ثم جزيرة ادستو وطولها ١٢ ميلاً وعرضها ٤ اميال الى ٥ وفيها ٢٨٨١١ فداناً كانت زراعتها في اول الامر مقصورة على الارز ثم صارت تزرع نيلةً واخيرًا زرعت قطناً وكان عدد سكانها سنة ١٨٨٠ ثلاثمئة من البيض و ٣٨٠٠ من السود ويملك السود نحو ٥٠٠٠ فدان ويزرعون ثلثي القطن الذي يزرع في هذه الجزيرة وتزرع فيها الذرة ايضاً . وتصرف الارض بمصارف تحت سطحها ويكثر الزارعون من استعمال السماد

ثم جزيرة ودملو وطولها ٩ اميال وعرضها من ٤ اميال الى ٦ وفيها ١٦٠٠٠ فدان وكان فيها ٢٠٠٠ من السود و ١٦٥ من البيض. وجزيرة جون وهي اكبرهنَّ طولها ٣٢ ميلاً وعرضها ١٠ اميال وفيها ٤٠٠٠٠ فدان والارض الزراعية منها ١٨٠٠٠ فدان

ويكرر زرع القطن في جزيرة جمس كل سنة فتكسر الاشجار القديمة وتمهَّد الارض في اوائل فبراير بواسطة زحافات طول الزحافة منها خمس اقدام ويوضع السماد في الخطوط القديمة و يغطى بالنبات اليابس والهشيم وتحدل الارض بمحدلة وتحرث وتخطط ويجعل البعد بين الخطوط خمس اقدام ويزرع البزر فيها على ابعاد ١٨ بوصة الى ٢٠ بوصة والغالب ان يقوم بزرع البزر ثلاثة واحد يعمل الحفر وواحد يلقي البزر فيها وواحد يغطيها بالتراب فيسيرون الواحد وراء الآخر لهذه الاغراض. ويعزق النبات وتنزع الاعشاب التي تنمو بينهُ ويخفف وقت العزقة الثانية حينما يصير عمرهُ شهراً ويكرر التخفيف عند كل تعشيب حتى لا يبقى الاَّ شجرة واحدة في كل نقرة او شجرتان. وحينما يصير عمر النبات ستة اسابيع تعزق الارض بعزافة ويكوَّم التراب حول اصول النبات ويظهر نوار القطن بعد نحو سبعين يوماً من زرعهِ ويفتح اللوز بعد نحو سبعين يوماً أُخرى ويبلغ ارتفاع الشجرة من اربع اقدام الى خمس

ولا يجمع القطن الاَّ بعد ان يفتح اللوز جيداً فيمسك الجامع اللوزة بيدهِ اليسرى بين الابهام والاصبعين اللتين تليانهِ وينزع القطن منها بيدهِ اليسرى مع ما فيهِ من البزر

والغالب ان كل ١١ قنطاراً من القطن تصفي ثلاثة قناطير من الشعر والباقي بزرة. ويجفف القطن بعد جمعهِ ويفرز ويخبط بالمخابط بعد وضعهِ على شباك من السلك لكي يقع منهُ التراب ونحوهُ ولكن اذا اعتني بجمع القطن فلا داعي للخبط. ولا يحلج حالاً بل يترك مدة حتى يمتص القطن قليلاً من الزيت الذي في البزر فيزيد لمعانهُ

ويبلغ محصول الفدان في جزيرة جمس ثلاثة قناطير من القطن الشعر وقد بلغ في ارض مسمدة جيداً بزبل المواشي اربعة قناطير وثمانية ارطال والمتوسط من قنطارين الى ثلاثة قناطير ونصف

لماذا ارتفع ثمن القطن

من مقالة للمستر دانيال صلي نشرت في مجلة اميركا الشمالية

لا بدَّ من تحديد المراد بالمضاربة واللعب في البورصة قبل الخوض في هذا الموضوع. اما المضاربة فشاعت منذ ما اتسع نطاق التجارة والاشغال المالية. ولكنها لا تفلح قط ان لم

تكن مبنية على اساس ثابت والاَّ فنجاحها وقتي محدود . والمضاربة ترفع الاسعار وتهبطها بسرعة ولكنها لا تؤَثر في الاسباب الاساسية التي توجب ارتفاعها او هبوطها زمانًا طويلاً . مثال ذلك ارتفاع ثمن القطن الحالي فانهُ لم يكن في طاقة المضاربة ان ترفعهُ الى هذا الحد وتبقيهُ عليهِ الاَّ اذا كان بين المضاربين ماليون كبار يستطيعون ان يبتاعوا جانبًا كبيرًا من القطن بهذهِ الاسعار . وقد تدعو الحال احيانًا الى احتكار الصنف ورفع ثمنهِ كما اذا كان المحصول قليلاً او اذا قلَّت المتأَخرات في آخر الموسم قبل المحصول الجديد ولم تعد كافية للمقطوعية وتهافت كبار الماليين على المضاربة . ولكن المحتكرين لا يشرعون في الاحتكار في اول الموسم ولا يمكن ان تتألف جماعة منهم وتخاطر باموالها حينئذٍ لانهم لا يعرفون المستقبل ولا يحسبون ان الربح يستحق التعب وانشغال البال

واذا سئلتُ هل اثَّرت المضاربة واللعب في سعر القطن هذهِ السنة فاجيب نعم وذلك من وجهين فان فريقًا من المضاربين حسب ان الاسعار واطئة جدًّا وفريقًا آخر حسبها عالية جدًّا فتنازع هذان الفريقان وتناظرا والظاهر ان الربح الاكبر كان لحزب النزول . ولا يخفى ان التجار في اميركا واصحاب معامل القطن في انكلترا وسائر اوربا يبذلون جهدهم دائمًا لخفض الاسعار وابتياع القطن بثمن بخس ولكن المزارعين من اهل الجنوب الذين التحفوا الفقر المدقع اربعين سنة متوالية وذاقوا لذة الربح اول مرة اتفقوا هم والعملاء والسماسرة على رفع الاسعار

واني اجاهر بادىء بدء بان ارتفاع ثمن القطن ناتج عن اسباب طبيعية محضة ولو لم تكن عادية وهو ليس نتيجة المضاربات

قلَّ من يعلم اهمية القطن للولايات المتحدة فان القطن هو المادة الوحيدة التي تُغزَل في حالتها الطبيعية وهو المحصول الوحيد الذي لا يستعملهُ الزارع . ورخصهُ وسهولة الحصول عليهِ وصلاحيتهُ للنسج كل ذلك يجعلهُ في المقام الاول بين الحاصلات الزراعية التي تستعمل للنسج . واستعمالهُ آخذ في الازدياد واستعمال غيرهِ آخذ في القلَّة بالنسبة اليهِ . وقد فتحت لمنسوجاتهِ اسواق جديدة في كل المسكونة وزادت المقطوعية عليهِ في الاسواق القديمة بازدياد السكان وكثرة استعمال الملابس

وتقدر مقطوعية الدنيا من القطن بنحو اربعة عشر مليون بالة (١٤٠٠٠٠٠٠) اكثرها من الولايات الجنوبية من البلاد المتحدة فمنها تحصل اهم مواد النسج . وقطن القطر المصري طويل الشعر يستعمل في المنسوجات الدقيقة وقطن الهند قصير الشعر يستعمل في المنسوجات الخشنة واما القطن الاميركي فمتوسط بينهما وهو يستعمل في كل المنسوجات تقريبًا

وقد ابتدأ زرع القطن في الولايات المتحدة سنة ١٦٠٧ وبقي ما يزرع منهُ قليلاً الى سنة ١٧٩٣ حينما استنبط عالي هوتني آلة الحلج المنسوبة اليهِ ومن ثم زاد زرع القطن وبلغ محصولهُ في الولايات الجنوبية ١٢٠٠٠٠ بالة سنة ١٨٠٠ وخمسة ملايين بالة (٥٠٠٠٠٠٠) سنة ١٨٦٠ واحد عشر مليون بالة (١١٠٠٠٠٠٠) سنة ١٨٩٧ وبلغ ما صدر من بلادنا مدة السنوات العشر الاخيرة ثلاثماية مليون قنطار (٣٠٠٠٠٠٠٠٠) بلغ ثمنها الفين وخمسماية مليون ريال (٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠) قبضتها البلاد ذهبًا فخففت بها الموازنة المالية بينها وبين اوربا . مثال ذلك انهُ في شهر نوفمبر سنة ١٩٠٣ صدر من البلاد قطن ثمنهُ ٦٧٩٦٤٧٧٤ ريالاً حسب تقرير ديوان الاحصاء في وشنطون اي نحو ٦٨ مليون ريال وبلغ قيمة كل الحاصلات الزراعية التي صدرت في تلك المدة ١٠٥٨٠٩٩٨٦ وهذا كان اكبر مقدار من القطن صدر في الولايات المتحدة في شهر واحد ولم يعلم حتى كتابة هذه السطور مقدار القطن الذي صدر في شهر دسمبر ولكن المرجح ان ثمنهُ يزيد على ثمن ما صدر في نوفمبر

ويظهر من الاحصاء الذي تم سنة ١٩٠٠ ان قيمة المنسوجات والمغزولات القطنية كانت الثالثة بين الصادرات من الولايات المتحدة فلا يفوقها الاَّ صادرات مواد الطعام وقد بلغ ثمنها الفين ومئتي مليون ريال (٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠) والحديد والصلب وقد بلغ ثمنهما الفًا وسبع مئة مليون ريال (١٧٠٠٠٠٠٠٠٠) وبلغ ثمن المغزولات والمنسوجات ١٤٣٧٤٨٤٤٨٤ ريالاً وهي تشمل المغزولات والمنسوجات الصوفية والكتانية ايضًا ولكن مقدارها قليل بالنسبة الى المغزولات والمنسوجات القطنية ويظهر من ذلك مقدار ما للقطن من الاهمية في التجارة

ومن الغريب ان اسباب الارتفاع الحالي في ثمن القطن اصلها كبر موسم سنة ١٨٩٨ و ١٨٩٩ فان محصول كل سنة منهما كان اكثر من احد عشر مليون بالة (١١٠٠٠٠٠٠) وهبط ثمن القطن حينئذٍ حتى بلغ ثمن الليبرة خمس بنسات او ست وخيف من ان يزيد المحصول على المقطوعية فبذل محبو الوطن جهدهم بالكلام والكتابة في الصحف حتى اقنعوا اهل الزراعة بالاكثار من المزروعات الاخرى والاقلال من زرع القطن . ونتج عن رخص ثمن القطن وكثرة الموجود منهُ ان أُنشئت معامل جديدة لغزلهِ ونسجهِ في الولايات الجنوبية وفي اوربا ايضًا فزاد عدد المغازل في السنوات العشر الاخيرة سبعة عشر مليونًا (١٧٠٠٠٠٠٠) وكانت الزيادة في الولايات الجنوبية وحدها ٨١٧٨٢٦ مغزلاً و١٦٣١٣ نولاً رأْس مالها ستة عشر مليونًا من الريالات (١٦٠٠٠٠٠٠) ويرجح ان عدد المغازل الآن في الدنيا مئة وتسعة ملايين (١٠٩٠٠٠٠٠٠)

ثم ان كبر المحصول دعا الى امور أُخرى غير زيادة المعامل فان الصنَّاع صاروا يصنعون من القطن اشياء اخرى لم تكن تصنع منهُ واعتاد الناس استعمالها حالاً وهذهِ المصنوعات استدعت عمل الآت صالحة لها فهي لا تستغني الآن عن القطن

ثم جاءت اربع سنوات كان المحصول فيها قليلاً وقد بنيت المقطوعية في الدنيا على ان الموسم الاميركي احد عشر مليون بالة (١١٠٠٠٠٠٠) وبقيت المعامل دائرة تعمل عملها المعتاد لان المقدرين كانوا يقدرون الموسم باحد عشر مليون بالة وقد اصاب تقديرهم لمحصول سنة ١٨٩٧ و ١٨٩٨ فاشتهروا بحسن التقدير ثم لما نقص المحصول وبقي تقديرهم على ما كان اولاً ولهم غرض في ذلك هبطت الاسعار فاستفاد اصحاب المعامل من هبوطها ولم تقلل المعامل مقطوعيتها . وجعلت المقطوعية والمحصول يتباريان كفرسي رهان . وعندي ان المقطوعية غلبت الآن على المحصول وزادت عليهِ فان محصول الموسم الذي زرع سنة ١٨٩٩ بلغ ٩٤٣٦٤١٦ بالة والذي زُرع سنة ١٩٠٠ بلغ ١٠٣٨٣٤٢٢ بالة وسنة ١٩٠١ بلغ ١٠٦٨٠٦٨٠ بالة وسنة ١٩٠٢ بلغ ١٠٢٧٥٥٩ بالة

فنقصت المتأخرات في المعامل وبلغ النقص في العام الماضي مبلغًا خاف منهُ اصحاب المعامل خوفًا شديدًا فأُلقي اللوم على المضاربين . واني اقتبس ما يلي مما كتبهُ هنري كتردج في جريدة الكومرشيال ادفرتيزر وهو من الثقات في امر القطن وغرضهُ مع اصحاب المعامل بلا شك قال

" انهُ لم يكن وقت من الاوقات كانت فيهِ اسعار القطن مبنية على نسبة الموجود الى المقطوعية مثل الوقت الحاضر رغماً عما يقال عن تأثير المضاربات . وقد أُلقي اللوم على المضاربين من غير تمييز وعدُّوا السبب في ما حدث من الاضطراب في سوق القطن . ولا شبهة ان للمضاربات يدًا في رفع الاسعار ولكنها انما زادت النتائج الناتجة عن قلة المحصول . وكان زعماء حزب الصعود امهر من كثيرين من ارباب المعامل لان جمهور اصحاب المعامل كان يعتقد ان حالة السوق غير طبيعية ولا بد ما تنقلب عنها وتعود الى حالتها الطبيعية مع الزمن ولكنهم كانو مخطئين في اعتقادهم هذا ولم يرتكبوا من الخطاءِ في زمن من الازمان مثلما ارتكبوا سنة ١٩٠٣ لجهلهم الاسباب الحقيقية التي تحكم على الاسعار "

وقد ارتفعت الاسعار سنة ١٩٠٢ للسبب الذي ذكرهُ المستر كتردج واوفى المزارعون في الولايات الجنوبية بعض ديونهم وحسنت حالتهم المالية . وهم يعتقدون ان ثمن القطن كان قبل ذلك ارخص مما يلزم ان يكون . وقد كانت الاسعار قبلاً تُقطع حسب ما يناسب اهالي

الولايات الشمالية والشرقية اي حسب مايناسب اصحاب المعامل لا المزارعين . وكان اصحاب المعامل يتحكمون بالاسعار وبحركة السوق . واصحاب البنوك في الولايات الجنوبية (حيث يزرع القطن) يعتمدون على نيو يورك ويرتهنون المحصول قبل ان يجنى وكانت مصلحتهم ومصلحة اصحاب المعامل واحدة فكانت بنوك نيو يورك تطلب اموالها من بنوك الولايات الجنوبية فتطلب هذهِ الاموال من التجار وهم يلحُّون على المزارعين في طلب القطن ونتيجة ذلك شحن السوق بالقطن فيربح العامل ويخسر الزارع ولكن تغيرَّت الحال بسبب ارتفاع الاسعار ولولا ارتفاع الاسعار في اول سبتمبر سنة ١٩٠٣ لامتنع المزارعون عن بيع قطنهم وحدث ما يسمَّى بقحط القطن حقيقةً . وقد كثر الوارد هذهِ السنة ولكنهُ كان منتظماً تبعاً لارتفاع الاسعار ولم يهجم هجمةً واحدة حتى تغص بهِ السوق كما كان يحدث سابقاً حينما كان المزارع محتاجاً الى المال

وعندي ان لقلَّة المحصول اربعة اسباب الاول ضعف التقاوي والثاني ضعف الارض من تكرير الزرع فيها وقلة خدمتها والثالث ازدياد الحشرات التي تتلف القطن كدود اللوز ونحوهِ والرابع قلة الارض المعدة للزراعة

وعندي ان ضعف التقاوي نتج من بيع احسن البزرة لمعامل الزيت فان وكلاء هذه المعامل يجولون في البلاد في اول الموسم ويشترون كل البزرة التي تنتج من الجنية الاولى وهي اجود ما يكون للزرع والغالب ان يكتفي الزارع ببزر الجنية الاخيرة وهو ضعيف . وقد انتبه المزارعون حديثاً الى هذا الخطإ واخذوا في تلافيهِ ومن المرجح انهم سيحسنون انتقاء التقاوي في المستقبل اما بغربلة البزرة وقت الحلج او بواسطة اخرى

هذهِ هي الاسباب التي دعت الى قلة المحصول في الاعوام الاربعة الماضية والموسم الاخير زرع متأخراً من اربعة اسابيع الى ستة وكان الصيف متأخراً فدام برد مارس الى ابريل وبرد ابريل الى آخر مايو واسرع البرد في اواخر الفصل فكان الهواء في اغسطس كما يكون عادة في سبتمبر وفي سبتمبر كما يكون في اكتوبر . وفي التاسع عشر من اكتوبر وقع الصقيع فامات النبات في اماكن كثيرة حيث يزرع القطن وتوقف النبات عن النمو قبل ان يبلغ اشدَّهُ . وجاءت الاخبار من كل البلاد ان الطرح الاخير معدوم وهذهِ الامور كلها كانت كافية لتحذير ارباب المعامل من قلة المحصول

وكانت المتأخرات من الموسم السابق لا تكفي المعامل الى آخر اغسطس ولو توزعت عليها وقبلما انتهى الفصل اضطرت معامل كثيرة ان تتوقف عن العمل تماماً . وزادت الازمة بتأخر المحصول الجديد وبطء الواردات

هذه كانت حالة القطن في دسمبر الماضي كان الوارد قليلاً جدًّا والمعامل تقطع من لمتاخرات حتى قلت المصنوعات فيها . وكان يمكن ان تعود الحال الى مجراها لو كان المحصول حد عشر مليون بالة او احد عشر مليونًا ونصف وتوزع الوارد منهُ على الاشهر واقتصرت المعامل لى ما كانت تعملهُ عادةً الاَّ ان ارباب المعامل لا يقصرون مشترواتهم على ما تحتاج اليهِ عاملهم شهرًا بعد شهر بل يحسبون انهُ الاسلم لهم بل الواجب عليهم ان يكون عندهم فضلة كافية لابقاء الموازنة بين القطن الذي عندهم وما يغزلونهُ منهُ . وقلت المتأخرات حتى لو كان المحصول ١٢ ليون بالة لابتاعهُ اصحاب المعامل بثمن يزيد على اسعار السنين الماضية ولذلك حق لاصحاب لقطن ان يطلبوا سعرًا مناسبًا للمقطوعية ولشدة حاجة اصحاب المعامل التي تدعوهم الى ان يكون عندهم فضلة زائدة

وزادت حيرة اصحاب المعامل بما كان يشيع من الانباء عن عظم المحصول فتأخرت معامل كثيرة عن المشترى املاً بهبوط الاسعار ولاسيما في هذه البلاد (اميركا) اما اصحاب المعامل الاوربية فتعلموا من العام السابق ان لا يقعوا في هذا الفخ وابتاعوا في اول الموسم فارتفعت الاسعار رغمًا عن سعي حزب النزول الذين كانوا ينبؤُون ان المحصول سيكون من احد عشر مليون بالة الى اثني عشر مليونًا مع ان الوارد كان يدل على قلة المحصول وكذلك احوال الجو واشتداد الصقيع . ثم لما صدر تقدير الحكومة في ٣ دسمبر سنة ١٩٠٣ الذي جعل المحصول ٩٩٦٢٠٥٩ بالة قوي مركز حزب الصعود وزاد ارتفاع الاسعار وبقيت تتردد بين ارتفاع كثير وهبوط اقل منهُ الى ان بلغت ١٤ سنتًا

وغنيٌّ عن البيان ان حزب النزول ادَّعى بان هذهِ الاسعار مبنية على المضاربات واستشهدوا على صحة قولهم بخطإِ تقديرات الحكومة في السنين السابقة واستدلوا على ذلك بكثرة الواردات حتى ان مجموعها قارب ما ورد في العام السابق الى اول يناير مع انها ابتدأت متأخرة وانبأُوا بان المعامل ستقلل ساعات العمل فتقل المقطوعية وتزيد المتأخرات

اما انصار حزب الصعود فقالوا ان كثرة الواردات ناتجة عن ارتفاع الاسعار فصار الفلاحون يسرعون الى بيع كل ما يمكن جنيهُ من القطن وكان الوقت مناسبًا للجني اكثر من المعتاد ومع هذا كلهِ فان القطن المحلوج حتى ١٣ دسمبر كان اقل مما حلج الى ذلك التاريخ في العام السابق بنحو ٤٠٠٠٠٠ بالة فلو كان المحصول كثيرًا لحلج منهُ مقدار اكثر من ذلك رجحت التقادير حتى اواسط يناير ان القطن الذي في يد المزارعين اقل مما كان في يدهم في العام السابق بنحو ٣٠ الى ٥٠ في المئة . ولذلك اصرَّ حزب الصعود على ان الواردات ستقل

باكرًا فقلت في الوقت المحدد وبلغت القلة بضعة الوف من البالات كل يوم بالنسبة الى ما كانت عليهِ في العام السابق في ذلك الوقت ولذلك فارتفاع الاسعار كان معقولاً اذا نظرنا اليهِ من حيث مقدار الموسم

اما من حيث تقليل ساعات العمل فان جماعة من اصحاب المعامل اجتمعوا في منشستر في اواخر دسمبر وطلبوا ان يوافقهم اصحاب المعامل في اوربا على ذلك فجاءتهم الاجوبة من المانيا والنمسا والمجر وايطاليا وهي تشترك في الشكوى معهم ولكنها تبين ان تلك المعامل مربوطة بطلبات تشغلها الى آخر يوليو فلا تستطيع ان تقلل ساعات العمل . وقال ثقة من كبار تجار القطن في انكلترا ان معامل انكلترا ومعامل اوربا كلها مرتبطة بطلبات من مصنوعاتها تشغلها الى آخر شهر يوليو وليس تحت يدها من القطن ما يكفي لذلك وليست في سعة مالية كافية لمشترى القطن الحاضر اللازم لها بالاسعار الحاضرة ولا تستطيع ان تشتري كنتراتات ما لم تترفع الاسعار كثيرًا بسبب ذلك . وهكذا اصحاب المعامل في القسم الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة مرتبطون بطلبات كثيرة تمنعهم من تقليل ساعات العمل بنوع عام . وتظهر قلة القطن في معامل اميركا من ان بعض المعامل تأخر عنها قطن طلبتهُ فاضطرَّت ان توقف العمل الى حين وصولهِ . فاذا كان القطن قليلاً في المعامل الى هذا الحد فلا عجب فاذا غالى اصحابهُ بثمنهِ

ومما يدلُّ ايضًا على ان ارتفاع السعر الحاضر ليس نتيجة المضاربات ان ثمن القطن الحاضر في اماكنهِ في فول رفر اعلى من ثمنهِ في بورصة نيويورك . ثم ان نيو اورليانس اكبر سوق للقطن في الدنيا واصحابها اعلم من غيرهم بحالة المحصول ولكن السعر في نيواورليانس كان دائمًا اعلى من السعر في نيويورك خمس بنسات الى ستين بنسًا كل مدة الفصل فلماذا يكون القطن في قلب بلاد القطن اغلى منهُ في نيويورك على الف ميل منها ربعَ ريال الى ثلاثة ريالات في البالة

واقول قبل ان اترك هذا الموضوع ان المستر توماس اليسن من اهالي لفربول قدر المقطوعية من القطن الاميركي في العام الماضي عشرة ملايين و٨٤٠ الف بالة (١٠٨٤٠٠٠٠) اي اقل من مقطوعية سنة عادية بخمسين الف بالة . وفي شهر اكتوبر الماضي قدر المقطوعية اللازمة من القطن الاميركي عشرة ملايين و٨٧٠ الف بالة ولما بلغ ثمن الليبرة ١١ بنسًا في شهر نوفمبر عدل تقديرهُ هذا وجعلهُ عشرة ملايين و٥٠٠ الف بالة (١٠٥٠٠٠٠٠) وقال انهُ اذا زادت الاسعار ارتفاعًا قلت المقطوعية اكثر من ذلك. فاذا كان تقدير الحكومة الاميركية للمحصول بتسعة ملايين و٩٢٦ الف بالة (٩٩٢٦٠٠٠) صحيحًا او قريبًا من الصحة فالمرجح ان المعامل تقلل مقطوعيتها

ولكن هذا التقليل يكون اضطراريًّا ناتجًا عن قلة القطن لا اختياريًّا ناتجًا عن ارتفاع الاسعار اذا غلا الطعام فالناس يشكون من الغلاء ولكنهم يدفعون ثمنهُ ولذلك يأْكل الناس لحم والحنطة سواء غلا ثمنها او رخص لاسيما اذا كان الموجود منهما لايكاد يكفي الحاجة. واذا لمنا ان بعض المنسوجات القطنية لايعود يستعمل فيما كان يستعمل لهُ حينما كان القطن رخيصاً يبقى ان القطن الموجود لايكفي اصحاب المعامل للقيام بالكنتراتات التي ارتبطوا بها. والشابهة بين القطن واللحم ليست تامَّة لانهُ اذا غلا اللحم اكتفى الناس بغيرهِ من الطعام ولكن العامل التي تغزل القطن لاتستطيع ان تغزل غيرهُ لا صوفًا ولا حريرًا

ولما خيف من انتشاب الحرب بين الروس واليابان في اوائل هذهِ السنة هبطت اسعار القطن لكن اكثر هذا الهبوط ناتج عن قصر النظر فان المقدار القليل من القطن غير المصنوع لذي تشتريهِ الصين واليابان قد اشترتاهُ قبل الحرب او تعهدتا بشتراهُ وما يبقى منهُ لايسدُّ سدَّ النقص في ما تحتاج اليهِ معامل اوربا واميركا . والمنسوجات القطنية التي ترسل الى تلك البلاد لا دليل على انها ستقل ولا روسيا قادرة على مصادرة سفننا التجارية

وخلاصة ما تقدَّم ان غلاء القطن الحالي ناتج عن كثرة المقطوعية التي قلَّت بها المتأَخرات وعن ارتباط المعامل بطلبات لا بدَّ لها من تقديمها في مواعيدها ولان حزب النزول خدع صحاب المعامل بتقديرهِ المحصول اكبر مما هو في الحقيقة وعن قلة المتأَخرات الباقية الى شهر سبتمبر الماضي فزاد طلب المعامل على القطن ودلَّت احوال الهواء على ان القطن لايكفي المطلوب وايَّد ذلك تقدير الحكومة للمحصول وجاء احصاء المحلوج مؤيدًا لهُ وكذلك قلَّة الواردات وهبوط مقدارها بغتةً. يضاد ذلك عدم صحة التقديرات السابقة وان ما يقولهُ اصحاب القطن نفسهم لايعتمد عليهِ. والنتيجة ان ارتفاع الاسعار نتج عن اسباب طبيعية لاترد وان المضاربات وحدها لا تستطيع ان ترفع السعر وتبقيهُ على هذا الحد لان المضاربين الذين يستطيعون ذلك يلزم ان يشتغلوا بخمس مئة مليون ريال على الاقل. فحالة السوق طبيعية ناتجة عن زيادة المطلوب وقلة المحصول والمضاربات ترفع الاسعار وتخفضها ولكن لاترفعها كثيرًا ولا تخفضها كثيرًا

[المقتطف] وقد كتب المستر صلي ذلك قبل ان خسر خسائر فاحشة وهبطت الاسعار كثيرًا عن الحد الذي بلغتهُ حينما كتب فتبين انهُ كان للمضاربات يد كبيرة في ارتفاعها ولا بعد ان يكون لها الآن يد كبيرة في هبوطها. لكن في مقالتهِ فوائد كثيرة ولذلك حرصنا على رجمتها ونشرها . ولا يزال سعر القطن غاليًا فاذا بقي عليهِ بيع القطن المصري من المحصول التالي بثلاثة جنيهات ونصف الى اربعة جنيهات

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

---

(١) الروايات

مصر عبد الحميد افندي فهيم قالت جورج سند

Le premier devoir d'un roman, c'est d'être romanesque

فكيف تترجمون ذلك الى العربية وهل توافقونها على قولها

ج يترجم هكذا "لا تكون الرواية رواية مالم تكن نوادرها غريبة" او "اول شرط من شروط الرواية ان تكون وقائعها غريبة مدهشة" هذا هو المعنى المراد ويسهل سبكهُ على صور شتى والظاهر ان كبار مؤلفي الروايات كدوماس الاكبر والاصغر جروا على هذه الخطة في تأليف رواياتهم فافلحوا

(٢) صرف عمر

ومنهُ. دار البحث منذ مدة بين بعض العلماء على مسأَلة صرْف عمرَ فما الذي انتهت اليهِ هذهِ الابحاث

ج اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع لحضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي اقام فيها الادلة على منع عمر وخالف حضرة الشيخ محمد محمود الشنقيطي الذي قال بصرفهِ ومن ادلتهِ على منعهِ انهُ جاءَ في كلام العرب ممنوعاً لا مصروفاً ومن الشواهد على ذلك قول الفرزدق

ان الارامل والايتام اذ هلكوا
والخيل اذ هزمت تبكي على عمرا

وقول الكميت

اهوى عليًّا امير المؤْمنين ولا
ارضى بشتم ابي بكر ولا عمرا

وقول غيرهِ

اشبهت من عمر الفاروق سيرتهُ
سن الفرائض وأْتمَّت بهِ الامُ

وقول عمر بن ابي ربيعة

كيف لي اليوم ان ارى عمر المر
سل بالهجر قبل ان يلقاني

ثم ان اللغة نقلية لا قياسيَّة قال ابن هشام اللغة لا تثبت بالقياس وقد جاء السماع بالمنع فلم يبقَ للقياس مجال وقد اجمع اهل الحديث على منع عمر في روايتهم واسانيدهم ولو صحَّ هـذا الاجماع على باطل لضاعت الثقة باصول الدين. انتهى كلام الشيخ احمد

الشنقيطي بايجاز كثير. والمسأَلة لا تستحق ان يعنى بها اكثر من واحد او اثنين

(٣) فوائد فلسفة سبنسر

ومنهُ . ما هي الفوائد التي عادت على العالم الى الآن من فلسفة سبنسر

ج ان الارتقاء العقلي والمادي اللذين احرزتهما اوربا واميركا منذ خمسين سنة الى الآن موَّلفان من امور عديدة بعضها تسهل نسبتهُ الى الذين اكتشفوهُ او اوجدهُ كالتلغراف وسكك الحديد والتطعيم الواقي من الامراض. واكثرها يتعذَّر ردهُ الى الذين اوجدوهُ ومن هذا القبيل اكثر القضايا التي نير العقل وترشد الى طرق البحث المنتجة. ويظهر لنا ان مقالات سبنسر وكتبهُ كان لها الشأن الاكبر في انارة عقول الامم التي قرأَتها والعقل المستنير يكون اقدر من غيرهِ على جلب المغانم ودفع المغارم. راجعوا خطبة الاستاذ رمسي رئيس مجمع ترقية العلوم الاميركي التي نشرت في الجزء الماضي وخطبة السر نورمن لكير رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني المدرجة في جزء اكتوبر الماضي تحت عنوان العقل والعمران

(٤) اصل الكلب

بيروت . المدرسة الكلية . ايليا افندي بارودي . اصحيح ما يقال من ان الكلب يكلب اذا اكل لحم انسان

ج كلاَّ

ومنهُ. ورد في الحكم والامثال التي نشرت في المقتطف بقلم جناب الدكتور ورتبات قولهُ "ليس من الحق ان يعلن الحق دائماً" افيجوز الكذب اذاً وكيف تعللون ذلك

ج كلاَّ لايجوز الكذب ولكن بين الكذب وعدم اعلان الحق في بعض الاحوال فرقاً كبيراً مثال ذلك ان تعلم ان بنكاً من البنوك خسر في بعض اشغالهِ فاذا اعلنت ذلك تهافت الناس الذين لهم اموال في ذلك البنك على استلام اموالهم منهُ دفعةً واحدة فيضطر ان يوقف الدفع ويفلس فتضر اصحابهُ ضرراً كبيراً. واذا لم يعلن ذلك فالغالب انهُ يصلح امورهُ ويسدد ما خسرهُ من مكاسبهِ فلا يقع ضرر على احد. كذلك اذا كنت قائداً لجيش مملكة ولك اطّلاع على مواقع حصونها ورسوم تحصينها فاذا اعلنت ذلك للاعداء حتى ولو سألوك عنهُ فانك قد تخرب بلادك باعلانهِ والواجب عليك في هذه الحال ان تكتم ما تعلمهُ تمام الكتمان ولا تبوح بهِ لعدو. ولا يكلَّف الانسان باعلان كل ما يعلمهُ سواءٌ كان من اعلانهِ نفع او ضرر

(٥) التعليم

هل المقدرة على التعليم طبيعية او اكتسابية

ج طبيعية ولكنها تقوى وتتدرب بتعلم اساليبهِ والتمرن عليها

(٦) تعريب كلمة

ومنهُ ما احسن كلمة لتعريب الكلمة الانكليزية Cooperation

ج يختلف معناها حسب موقعها فتأْتي بمعنى جمعية او شركة او اشتراك او تعاون وتطلق على الجماعات الذين اتفقوا على ان يعاون بعضهم بعضاً في الاعمال سواء كانت صناعية او تجارية ويقتسمون ربحها . ويحسن في هذه الحال ان تطلق عليهم كلمة شركة

(٧) كتب سبنسر

باكوس . محمود افندي توفيق . هل نقل شيءٌ من كتب سبنسر الى العربية

ج اعلنا قبلاً ان حضرة نجيب بك شقرا ترجم كتاب سبنسر في التعليم وشرع في طبعهِ وكتب الينا الآن حضرة فارس افندي الخوري من دمشق انهُ شرع في ترجمة كتاب سبنسر في مبادئ السسيولوجيا وهو في ثلاثة مجلدات كبيرة تملأُ نحو الفي صفحة بقطع المقتطف. ولا نعلم ان احدًا ترجم كتاباً آخر من كتبهِ الى العربية . اما سؤالكم عن ثمن بعض الكتب فنجيب عنهُ انهُ يصعب علينا ان نجيب كل من يسألنا عن اثمان الكتب ونفضل ان لانفتح علينا هذا الباب لاسيما وان باعة الكتب مستعدون للاجابة عن كل سؤال من هذا القبيل

(٨) افيد كتاب

ومنهُ . ما هو أفيد كتاب لمن يريد ترقية عقلهِ وتوسيع دائرة تصوُّرهِ

ج لقد اتسع نطاق المعارف جدًّا حتى يتعذَّر علينا ان نشير عليهِ بكتاب واحد فان كان يحسن الانكليزية او الفرنسوية ففي كل لغة منهما سكلوبيذيات مختصرة كسكلوبيذيا تشمبرس في الانكليزية وبوليه في الفرنسوية وكلٌّ منهما يفي بالغرض

(٩) اصل الموز

مصر . الشيخ عزب التفهني . قرأت في كتاب الرحَّالة عبد اللطيف البغدادي ان شجر الموز مركب من القلقاس ونوى النخل تجعل النواة في جوف القلقاسة وتغرس فهل هذا صحيح

ج كلاَّ . وهذه النباتات الثلاثة من فصائل مختلفة يستحيل ان يتولد بعضها من بعض بيد الانسان

(١٠) ابواب المقتطف

بيروت المدرسة الكلية . اندارُوس افندي الشخاتيري . في المقتطف سبعة ابواب باب المراسلة والمناظرة وباب الصناعة الخ . وهذه الابواب على اختلاف مواضيعها تأْتي في كل جزءٍ متسلسلة الارقام كأنها كتاب واحد أَفلا يوافق جعل كل باب منها مستقلاً بارقامهِ كالرواية التي تنشر في اواخر كل عدد حتى اذا انتهت السنة ورام المشترك تجليد الاعداد فصل الابواب كل باب على حدة كما يفعل الآن بالرواية

ج لو فعلنا ذلك لاضطررنا ان نجعل كل باب ثماني صفحات تماماً او ست عشرة صفحة . والتقيُّد بجعل الكلام يملأُ صفحات محدودة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها صعب جدًّا ولا يحسن ختم الكلام في آخر الصفحة قبل ان ينتهي المعنى

باب الاخبار العلمية

اتفاق انكلترا وفرنسا على مصر

من اكبر مضار الحكم الاستبدادي ومنافعهِ ان خطأ الحاكم يضرُّ بالرعية كلها كما ان اعتدالهُ وحسن سياستهِ يفيدانها كلها. ومن حسنات الزمان ان يتحوَّل الضرر العاجل الى نفع آجل كما حدث في هذا القطر فان اسراف الخديوي الاسبق حمَّل هذا القطر حملاً ثقيلاً من الدين تنوءُ تحتهُ مملكة كبيرة لكن هذا الدين دعا الى الاحتلال والى ما نراهُ الآن من حسناتهِ . وقد بقيت ايدي المحتلين مغلولة بالقيود المالية لا تستطيع ان تنفق ما يزيد من دخل الحكومة على ما يرقي شؤُون الاهالي الى ان تمَّ الاتفاق اخيرًا بين انكلترا وفرنسا على كسر القيود القديمة واطلاق ايدي الحكومة المصرية حتى تنفق فضلة دخلها على ما ترى فيهِ مصلحة لبلادها وتستلم ايضًا الاموال المجموعة الآن في صندوق الدين ولا نبقي فيهِ الاَّ نحو مليوني جنيه مالاً احتياطيًّا . ولا بدَّ من ان تستخدم هذهِ الاموال كلها مع ما يزيد من دخلها سنويًّا لعمل الاعمال النافعة التي يزيد بها تقدم البلاد ماديًّا وادبيًّا

واتفق ان السر الدن غورست مستشار المالية السابق الذي كان لهُ يد في هذا الاتفاق بين انكلتر وفرنسا حضر الى مصر مودّعًا فاولم لهُ اصدقاؤهُ وليمة فاخرة حضرها جمهور كبير منهم ووقف فيها اللورد كرومر خطيبًا ففاه بالخطبة التالية معربًا فيها عن خطة المحتلين التي اتبعوها في مصر وعن فائدة هذا الاتفاق الاخير بينهم وبين فرنسا لهذا القطر قال ما تعريبهُ

اذن لي عطوفة رئيس النظار في مخاطبتكم بكلمات قليلة . وقد بنيت حقي في هذا الخطاب على كوني قد وجدت ما لم يجدهُ غيري من الفرص السانحة لقدر خدمة السر الدن غورست لهذا القطر حق القدر . فانهُ من الفئة الصغرى من اولئك الاوربيين الذين قضوا الاعوام والسنين وهم ينفذون السياسة التي شعار اهلها « مصر للمصريين » لا بالمعنى الذي قد يتبادر الى بعض الاوهام بل بالمعنى الذي تكون بهِ الآن وايضًا في مستقبل الزمان سياسة يمكن العمل بها ونفع كل من في مصر بفوائدها على اختلاف شؤُونهم وتعدد مصالحهم . وهذه السياسة ليس مضمونها ان حكام مصر كلهم لا يكونون الاَّ من المصريين الوطنيين بل مضمونها ان المحك الذي تحك

به كل مسألة مصرية لكشف جوهرها ومعرفة كنهها هو البحث والاستعلام لمعرفة قدر ما فيها من الموافقة لمصالح السكان في بر مصر على اختلاف اجناسهم واديانهم ونحلهم ومللهم

سادتي — قال رجل من اعقل ارباب السياسة الذين نبغوا في انكلترا ان اعظم امر يجب على رجال الاصلاح توجيه انتباههم اليهِ هو تعيين الامور التي لا يصلحونها (١) . ورأيي من قديم الزمان الى الآن هو انهُ يجب على كل اوربي تقلَّد منصبًا اداريًّا ساميًا في الشرق ان يجعل قول ادمند برك هذا نصب عينيهِ دائمًا . فان الشواهد عديدة في تاريخ انكلترا بل في تاريخ غيرها من البلدان الاوربية التي لها املاك شرقية على ان اغفال ذلك الحكم الصحيح افضى الى عواقب وخيمة مع ان اغفالهُ كان مقترنًا باحسن نية واخلص طوية . وعندي ان احق دعوى تقام على عد السر الدن غورست من المصلحين المفلحين هي كونهُ قد ادرك حق الادراك " ان الشرق شرق والغرب غرب " وهذا الحكم وان كان كل احد يسلم بصحتهِ نظرًا لكني وجدت انهُ قد ينسى عملاً اما لفقد قوة الخيال السياسي او لاسباب اخرى

على اني لا اطيل الكلام في هذا الموضوع الكثير المادة الجليل الفائدة لعلمي انكم ترومون ان يكون كلامي على العمل العظيم الاهمية الذي كان السر الدن غورست يعملهُ اخيرًا فاقول بالايجاز

سادتي — ان الحاضرين من ابناء وطني بينكم قد يتذكرون قول ولكس الخطيب وزعيم العامة المشهور للملك جورج الثالث . قال «تعلمون جلالتكم اني لم اكن قط في عمري من اتباع ولكس» . فهذا القول يصح لي انا ايضًا ان اقول مثلهُ مهما كان في قولي من الغرابة لاني وان اكن اعدُّ بمثابة شخص الاحتلال البريطاني لمصر منذ زمان طويل فالحق اني لم اكن قط في عمري احتلاليًّا ذا حمس وشغف بالاحتلال ولكني رأيت اننا بعد ما وضعنا يدنا على المحراث لم يبقَ لنا سبيل الى النظر الى الوراء (١) . وقد أدركت الفوائد التي استفادها المصريون انفسهم وكل الذين لهم علاقة بمصر من هذا الاحتلال اذ لا يجهل احد تلك الفوائد الاَّ من اغمض عينيهِ عن رؤيتها عمدًا

اما الفوائد التي استفادتها الامة البريطانية من هذا الاحتلال ففيها نظر لانها ليست واضحة كالفوائد التي استفادها المصريون منهُ وهي في نظري اثنتان الاولى اننا ربحنا ربحًا ادبيًّا لا اقصد الحط من قيمتهِ باصلاحنا بلادًا لها في التاريخ شأن عظيم بعد ان كانت

---

(١) (المترجم) لان الذي يعين ما لا يجب اصلاحهُ يعين حتماً ما يجب اصلاحهُ ويصلحهُ

(١) (المترجم) اشارة الى آية الانجيل الواردة في لوقا ٩ : ٦٢

لى شفا الخراب . والثانية اننا منعنا شؤُون صر المحلية من ان تكون مصدرهم وقلق شاغل ومحن لنا ولسائر اوربا . ولكننا خسرنا لى ربح هاتين الفائدتين العظيمتي القيمة ائدة اخرى تساويهما في القيمة فان حتلالنا لمصر افضى بحكم الضرورة الى وقوع لجفاء والبعاد بيننا وبين الامة العظيمة لتي هي اقرب جاراتنا والتي يتمنى كل عاقل ن رعايا ادورد السابع ان يكون على ب ووئام معها ويهم كل عاقل منهم دوام لصداقة والمودَّة بيننا وبينها

سادتي — اني قضيت في مصر واختبار هلها ما ينيف على ربع قرن وشهدت الزمن لذي كانت انكلترا وفرنسا تسيران فيهِ هنا بدًا بيد . وقد طالما تذكرت تلك الايام والاسف ملءُ الفؤَاد ولكني لم اقطع الامل من ان تسنح الفرصة يومًا لا لاعادة النظام لذي كان متبعًا في هاتيك الايام اذ قد صبح غير قابل للاعادة الآن بل لاعادة الصداقة والوئام اللذين كانا اساس ذلك النظام

وقد اجهدت نفسي لبلوغ هذهِ الغاية في العشرين سنة الماضية . اننا نحن الفرنسويين والانكليز قد تخاصمنا وتنازعنا وربما كان لكل امة من الامتين حق في الشكوى من الأُخرى ولكني لا اتعرض لذلك وانما اقول بضمير خالص واؤَكد بذمة طاهرة ني كنت دائمًا افرغ وسعي في فض كل مشكل محلي يقع بيننا ويكون فضهُ في طاقة يدي على وجه لايكدر صفو العلائق بين الامتين ولا يوسع الخرق الذي كان لسوء الحظ بينهما . وما دام كلامنا في المصالحة اقول اني وجدت في هذهِ الاعوام الاخيرة مصالحًا وافاني الى منتصف الطريق وهو ذلك الرجل النبيل الذي شق علينا موتهُ اخيرًا اعني بهِ صديقي الفاضل المرحوم ورصيفي المسيو كوجردان الذي يسرنا ان نرى خلفهُ حاضرًا بيننا الآن . فالمسيو كوجردان اذا اجيز لي ذكر خدمهِ — ايها السادة — اقول انهُ ادّى الخدم الجليلة ليس لبلادهِ فقط بل لمصر ايضًا وللعلائق الدولية كذلك . فانهُ اعان احسن اعانة في تحويل تلك العلائق الدولية عن " الخطوط الضيقة الى الخطوط الواسعة "

ان رجال السياسة وارباب المناصب في الدولة يتمنون كثيرًا ان تصح احلامهم السياسية ولكن قلما يتيسر لهم ذلك في هذه الايام التي اصبح زمام الامور فيها بيد الجمهور ما لم تكن تلك الاحلام مطابقة لمجرى الرأي العام كما جرى في السنة الماضية . فان زيارة الملك ادورد السابع لباريس وزيارة رئيس الجمهورية الفرنسوية للندن فتحتا عيون الامتين فجأة على ما يظهر حتى رأتا الحقيقة الاولية البادية للعيان وهو ان الأَولى بهما ان تنظرا معًا وتبحثا بحث الاحبة في حل كل

مشكلة تختلفان عليها لان ذلك خير لهما من ان توسع كل منهما اختها تعنيفاً ولوماً وتنديداً وذماً فحينئذٍ قام الذين يدبرون الامور وراء الستور وتولوا ذلك الامر مستبشرين بالنجاح وقد تم لهم هذا النجاح الان . واقول ان الفضل في كثير من ذلك كان للسر الدن غورست على ما ابدى من الحذق والحصافة في ما يختص بشؤُون وظيفتهِ من فروع ذلك الموضوع واخص اسماً آخر بالذكر مع ذكر اسمهِ وهو المستر برانييت فانهُ اقدم على الدكريتات الخديوية التي كان القانون المالي المصري منها حينئذٍ والتي كانت تشبهُ في اختلاطها الاجمة الملتفة الاشجار المشتبكة الاغصان فتجشم المشاق وقاسى الأَتعاب حتى استخرج منها قانوناً بسيطاً مفهوماً

ولست اقصد ايها السادة ان اقدم على عمل يعد من قبيل العبث في ذاتهِ ولا يكسب عاملهُ شكر غيرهِ وهو تعيين المزايا التي امتاز بها نصيب كل امة من الامتين في الاتفاق الذي عقدتاهُ حديثاً وانما اقول انني ارجو ان هذا الاتفاق يكون اساساً لصداقة دائمة بين فرنسا وانكلترا صداقة تنفعهما وتنفع العالم بأسرهِ معهما . واقول وأُؤكد بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع ابناء وطني في مصر اننا لا ندَّخر وسعاً في اجتناب كل الاسباب الجزئية المؤَدية الى سوء التفاهم والاختلاف مما يمكن ان يكون قد وجد هنا قبلاً

ولا ريب عندي ان تقدُّم مصر يسهل كثيراً في المستقبل بهذا الاتفاق الذي امضي الان فخلد للمسيو دلكاسي واللورد لنسدون صيتاً لا يزول على مرّ الزمان . لانهُ يكسب الحالة المصرية من الثبات والمتانة ما لا يتيسر لها من دونهِ . ويتوقف تقدُّم مصر ايضاً على امور أُخرى اخصها ما يأتي

اولاً سمو الامير ونظارهِ وحسن ميلهم . فقد سمعتم ما القاهُ رئيس نظار سموهِ على مسامعكم وكلنا يعلم انهُ اذا قال عطوفة مصطفى باشا فهمي قولاً فهو يعني ما يقول . واني واثق من ان عطوفتهُ قام بالواجب فعبر عن عواطف الجناب العالي نفسهِ

ثانياً الحصول على خدمة عدد قليل من الموظفين الاكفاء السامي المدارك كالسر الدن غورست والمستر فنسنت كوربت الذي هو خير خلف لهُ ولحفظ التقاليد التي آلت اليهِ

ثالثاً واخاف ان هذا الامر الثالث الذي يتوقف عليهِ تقدم مصر يخيب آمال البعض منكم — الاستمرار على الاقتصاد الشديد في ادارة مالية الحكومة — فاني ارى الناس عموماً يتصورون انهُ اذا وافقت سائر الدول على الاتفاق المعقود بين فرنسا وانكلترا تيسر للخزينة المصرية ان تتصرف باموال طائلة من الايراد السنوي ومن الاموال التي تصرف وتحسب من رأس المال . وهذا صحيح ولكنني ارجو ان رؤَساء المصالح الاميرية وغيرهم من

الذين تهمهم الامور المصرية لا يتوهمون من ذلك ان مصر بلغت ابان نعيمها واوج سعادتها المالية اذ هي لاتزال بعيدة عن ذلك بمراحل كثيرة . والمأمول ان التقاليد التي اثبتها السر الدن غورست والسر ادجر فنسنت والسر الون بالمرقبله تدوم بعد ذهابهِ . على اني ارجو ان يبسط الكف بعض البسط حيث تمس الحاجة الى بسطها جدًّا ولكن الحذر من الاسراف والتبذير والسهر على الحرص وحسن التدبير يدومان على ما كانا من الشدة . وانما اعلق الامل بامر واحد وهو ان احدى العبارات القليلة التي اعلمها من العبارات المصرية العامية وهي قولهم (مافيش فلوس) لا تبقى من الان فصاعدًا محطَّ كلام الخزينة المصرية

لم يبقَ عندي ما يقال سوى اننا نحن الذين تقادم عهد معرفتنا للسير الدن غورست في مصر نتمنى لهُ كل نجاح في المستقبل العظيم المفتوح امامهُ . وان كان مسير ذلك المستقبل على منهج مالي فنحن ندعو لهُ ان يكون مستقبلهُ دائمًا في بلاد يزيد ايرادها على نفقاتها كالزيادة المصرية التي هي من مستنبطاتهِ . على انهُ مهما كان من امرهِ في المستقبل فانهُ يحق لهُ ان يلتفت دائمًا الى ما عملهُ في هذا القطر ويتذكرهُ جذلاً مسرورًا

كلنا ايها السادة المتعاونون على العمل معًا لقد ضربنا قوات التأخر والتقهقر في هذا القطر ضربة لا قيام لها منها وان كانت انكلترا تقوم بالواجب عليها لنفسها ولمصر وللعالم المتمدن — وانا واثق بقيامها بذلك الواجب — فقوات التأخر لن تجد الى القيام من تلك الضربة سبيلاً . انتهى

الظواهر الفلكية في شهر مايو

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٧	١	٥٠	بعد الظهر
الهلال	١٥	٠	٥٨	" "
الربع الاول	٢٢	٠	١٩	" "
البدر	٢٩	١٠	٥٥	قبل الظهر

السيارات

عطارد — نجم المساء في اوائل الشهر ثم يدنو من الشمس ويصير نجم الصباح في اواخر الشهر

الزهرة — تشرق الساعة ٤ ونصف صباحًا

المريخ — لا يرى بسهولة لقربهِ من الشمس

المشتري — يشرق قبل الشمس بنحو ساعة ونصف

زحل — يشرق بُعَيْد نصف الليل

الثوابت

الصور الجنوبية . تشرق السنبلة الساعة التاسعة مساءً واكبر نجومها السماك الاعزال وتحتها الغراب وفيهِ منقار الغراب والكوكبان المسميان بالحبا . ويكون قنطورس قرب الافق .

ومن لقصر فما فوق جنوباً يرى الصليب الجنوبي على الهاجرة

تلغراف بجوت

جورج بجوت Piggott شاب اميركي اكتشف طريقة لتوليد امواج كهربائية تنتقل من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية ومن غير اعمدة تنصب في الجو كالاعمدة التي تستعمل في تلغراف مركوني . وقد ارسل الاشارات التلغرافية بها مسافة ٣٠٠ ميل من غير اسلاك . وعندهُ ان الاثير صلب كالمعدن فاذا تغيَّر وضع دقيقة منهُ في جهة من الجهات تغير وضع كل دقيقة اخرى منهُ فيشعر بتغيرها في كل مكان اذا وجدت آلة شديدة الشعور تشعر بذلك . وقد استنبط آلة شديدة الشعور لذلك

اسرع البنادق

استنبط رجل اميركي اسمهُ مكليان بندقية تطلق ١٥٠٠ طلق في الدقيقة الواحدة ومدفعاً يفعل هذا الفعل ويصيب الغرض على ثلاثة اميال . فاذا تسلح الف جندي بهذه البنادق او المدافع حصدوا الجيوش بها حصداً

العنبر الشمالي

يندر وجود العنبر في الحيتان الشمالية لكن قُتل حوت في الصيف الماضي بين اسلندا ونروج وجد فيهِ قطعة من العنبر زنتها اربعة ارطال ونصف اي نحو ٦٥٠ درهماً وثمن الدرهم من العنبر الجيد نحو ثلاثين غرشاً

انحلال عنصر

من العناصر المعدودة بسيطة عنصر الثوريوم وقد مرَّ الكلام عليهِ في اوائل هذا الجزء لكن ظهر للاستاذ برونر المجري منذ سبع سنوات انهُ غير بسيط بل يمكن حلهُ الى عنصرين مختلفين وقد تبين الآن انهُ مركب من عنصرين الكارولينيوم والبرزليوم

عيون اجراء الحيوان

انتبه بعض الباحثين في طبائع الحيوان الى ان اجراءهُ تفتح العين اليمنى قبل اليسري وذلك مطرد في كل الحيوانات التي تولد صغارها مغمضة العينين . والغالب ان العين اليمنى تفتح قبل اليسرى بست وثلاثين ساعة الى اربعين ساعةً

سكان اميركا

احصي سكان الولايات المتحدة الاميركية في آخر العام الماضي فبلغ عددهم ٧٩٩٠٠٠٠٠ اي نحو ثمانين مليون نفس فزاد اربعة ملايين عما كان عليهِ سنة ١٩٠٠ . وكان عددهم سنة ١٨٠٠ نحو خمسة ملايين نفس لا غير وسنة ١٨٥٠ نحو ٢٣ مليوناً وسنة ١٨٨٠ نحو خمسين مليوناً فزادوا في مئة سنة نحو ١٥ ضعفاً واذا استمرت زيادتهم على هذا النسق مئة سنة اخري بلغوا في آخر القرن العشرين الفاً ومئتي مليون من النفوس وذلك ضرب من المحال لان

المهاجرة الى اميركا لم تبق كما كانت قبلاً ولكن لا يبعد ان يزيد عددهم على نسبة ما زاد في السنين الاخيرة فيتضاعف كل ثلاثين سنة وحينئذ يبلغ في آخر القرن العشرين اكثر ن ثلثمئة مليون نفس

الحوت واللغم

الحوت الكبير يشبه السفينة في ضخامة جسمهِ والظاهر انهُ معرَّض مثلها للتلف باللغم قد روي ان حوتاً كبيراً مس طربيدًا في لادفستوك في الثلاثين من شهر مارس الماضي انفجر اللغم وقتلهُ

القرود والجبال العالية

ذكرنا غير مرة ما يصيب الناس من الدوار ذا صعدوا الى اعالي الجبال وقد امتحن ذلك ي القرود فظهر ان ما يصيبها اشد مما يصيب الناس وهو يشبه بفعل المخدرات فينبهها اولاً م يخدرها فتنام وتفقد الشعور ثم تموت

ادمغة السودانيين والقرود

في دماغ القرد تلفيف يسمى التلفيف لقردي لا وجود لهُ في ادمغة الناس التي بحث فيها علماء اوربا . وقد ادعى الاستاذ اليوت سمث ن اساتذة مدرسة قصر العيني الطبية انهُ كتشف هذا التلفيف في ادمغة السودانيين في ادمغة المصريين ايضاً فان كان ما اكتشفهُ صحيحاً فقد زال بهِ فارق من الفوارق التي كان يدعى انها فاصل بين الانسان والحيوان.

معدن الكلسيوم

الحجارة الكلسية منتشرة في كل مكان ونحو سبع قشرة الارض من الكلسيوم ومع ذلك فالحصول على هذا العنصر بسيطاً نادر جدًّا . الاَّ ان الاستاذ بورشر الفرنسوي اكتشف الآن طريقة قليلة النفقات لاستخراجهِ فصار يسهل الحصول عليهِ بثمن رخيص جدًّا . وهو معدن منطرق اصلب من الرصاص واخف من الاليومنوم ثقلهُ النوعي ١٫٥٨ وسيكون لهُ شأن كبير في سبك المعادن ولاسيما في سبك الحديد لانهِ يمتص الاكسجين بسهولة تامة

نقل الصور بالتلغراف

لنقل الصور بالتلغراف اساليب مختلفة احدثها استعمال السلينيوم لتوليد الكهربائية والانابيب المفرغة لقبولها فانهُ اذا مرَّت صورة فوتوغرافية امام بطرية صغيرة من السلينيوم اثر ما في الصورة من اختلاف البياض والسواد ببطرية السلينيوم فجرى منها مجرى كهربائي قوي او ضعيف حسب اختلاف النور والظلمة . ثم ان الانابيب المفرغة تتأثر بهذا المجرى الكهربائي مهما كان ضعيفًا فيرسم الصور الاصلية وتنقل بهِ الكتابة كما تنقل الصور فتنقل اربعون كلمة في نحو ثلاث دقائق

الدكتور كوخ

مرَّ الدكتور كوخ بالقطر المصري في رجوعهِ الى اوربا فاستشارتهُ الحكومة المصرية

في امر طاعون البقر الفاشي فيها فوجد ان الطاعون الفاشي في مواشي القطر المصري من نوع الطاعون البقري ولكنهُ يختلف عن الطاعون الذي فشا في جنوبي افريقية بعض الاختلاف فهو اقل فتكاً هنا على ما يظهر لان وفياتهِ في البلدان الاخرى زادت على ٩٠ في المئة وبعض اصاباتهِ الشديدة هنا يشفى من نفسهِ . وقد شرَّح مواشي ماتت بالطاعون واخرى ماتت موتاً طبيعياً فظهر لهُ ان تأثير الطاعون فيها اخف من تأثيرهِ في مواشي البلدان الاخرى وظهر لهُ ان هذا الطاعون مقترن بعلة اخرى سببها ميكروب في الدم يشبه الحويوين الذي يكون في حمى ساحل افريقية . والاوجه عندهُ ان الطاعون البقري المصري من نوع المرض الذي يصيب المواشي الروسية في جهات القوقاس . وسنأتي على ترجمة تقريرهِ في الجزء التالي

المحاريث البخارية

قال لنا احد المديرين ان طاعون المواشي سيكون من ورائهِ خير كبير لهذا القطر لانهُ سيضطرُّ الناس الى استعمال المحاريث البخارية فتغنيهم عن المواشي ونفقاتها الكثيرة . ويظهر لنا ان الامر كذلك فقد احضر ولدنا نجيب صرُّوف محاريث بخارية من اميركا خفيفة الوزن قوية الفعل رخيصة الثمن يحرث المحراث منها من فدان ونصف الى ثلاثة افدنة في الساعة ولا يحرق الاَّ مقداراً قليلاً من الفحم ولا يحتاج الاَّ الى مهندس عادي ووقاد وحرَّاث يجلس على كرسي الاسلحة (السكك) وقد جُرِّب محراث من هذه المحاريث في ارض صلبة جدًّا كانت مزروعة ارزًّا وتركت من غير ري منذ حصد الارزُّ منها الى الآن فحرث منها فدانين كل ساعة . والغالب ان زوج الثيران القوية لا يحرث الفدان منها في اقل من ثلاث ساعات . وسنصف هذه المحاريث بالتفصيل في الجزء التالي

ما اصيب من اسطول الروس

وصفت السينتفك اميركان السفن الروسية التي اصيبت في هذه الحرب حتى آخر شهر فبراير وبينت اقدار كلٍّ منها وثمنهُ وهي

الزارفتش بارجة من الطبقة الاولى انزلت الى البحر سنة ١٩٠١ ثمنها ٣٨٠٠٠٠٠ اجنيه وقد اصيبت بطربيد ثقب احدى غرفها ولم تصلح حتى الآن

رتفيزان بارجة من الطبقة الاولى انزلت الى البحر سنة ١٩٠٠ ثمنها ١٣٠٠٠٠٠ وقد اصيبت بطربيد ايضاً

البلتاقا بارجة انزلت الى البحر سنة ١٨٩٤ ثمنها ١١٠٠٠٠٠ اصيب بقنبلة خرقتها تحت حد الماء

البلادا طراد محمي سرعتهُ عشرون ميلاً بحريًّا انزل الى البحر سنة ١٨٩٩ ثمنهُ ٦٠٠٠٠٠

جنيه اصيب بطربيد

اسكلد طرَّاد محمي سرعتهُ ٢٢ ميلاً انزل الى البحر سنة ١٨٩٩ ثمنهُ ٦٠٠٠٠٠ جنيه ثقب عند سطح الماءِ

ديانا طراد محمي سرعتهُ ٢٠ ميلاً انزل الى البحر سنة ١٨٩٩ ثمنهُ ٦٠٠٠٠٠ جنيه ثقب عند سطح الماءِ

الفارياق طرَّاد محمي سرعتهُ ٢٤ ميلاً وستة اعشار انزل الى البحر سنة ١٨٩٩ وثمنهُ . . . ٦٠٠ جننه اغرقهُ رجالهُ

البوبارين طرَّاد محمي سرعتهُ ٢٢ ميلاً ونصف ميل انزل الى البحر سنة ١٩٠٠ وثمنهُ . . . ٢٨٠ جنيه نسف بلغم

نوفك طرَّاد محمي سرعتهُ ٢٦ ميلاً بحريًّا انزل الى البحر سنة ١٩٠٠ ثمنهُ ٢٦٠٠٠٠ ثقب عند حد الماءِ

كورنتز مدفعية سرعتها ١١ ميلاً في الساعة انزلت الى البحر سنة ١٨٨٦ ثمنها . . . ٩٠ جنيه غرقت في شمولبو

الينسي سفينة لنقل الطربيد سرعتها ١٨ ميلاً انزلت الى البحر سنة ١٩٠٠ وثمنها . . . ٨٠ نسفت بلغم

الجراد

مرَّ الجراد بالقطر المصري وطار فوق العاصمة في الحادي عشر من ابريل من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ونزل في اماكن مختلفة رزَّ فيها وباض وقد اهتمت الحكومة المصرية بامرهِ اهتمامًا عظيمًا وامرت باستخراج بيضهِ وحرث الارض التي باض فيها حتى يتعرَّض للشمس ويموت. ويرجى ان تتغلب عليهِ والتغلب عليهِ في هذا القطر اسهل من التغلب عليهِ في غيرهِ لان الارض تروى بسهولة فيموت ما فيها من بيض الجراد وصغارهِ

اقتداء انكلترا بمصر

ان السفن الكبيرة التي تمخر نهر التيمس الى مدينة لندن لا تجد الماءَ كافيًا لحملها في بعض الاحيان فتعاق التجارة بسبب ذلك. ويفكّر الانكليز الآن في انشاءِ سد على نهرهم مثل سد اصوان او سد اسيوط يعلو بهِ ماؤُهُ ويصير قادرًا على حمل السفن مهما كانت كبيرة ويكون لهُ اهوسة مثل اهوسة القناطر الخيرية وسد اصوان. ويجعل في السد سرب يصل بين ضفتي النهر. وتبلغ نفقات هذا العمل ثلاثة ملايين وسبعمئة الف جنيه

ميكروب الحمَّى الصفراء

اكتشف ميكروب الحمَّى الصفراء وهو جرثومة من نوع البروتوزون مثل جرثومة الملاريا والناقلُ لها من المريض الى السليم نوع من البعوض اسمهُ العلمي ستغوميا فاشياتا

اخبار الحرب

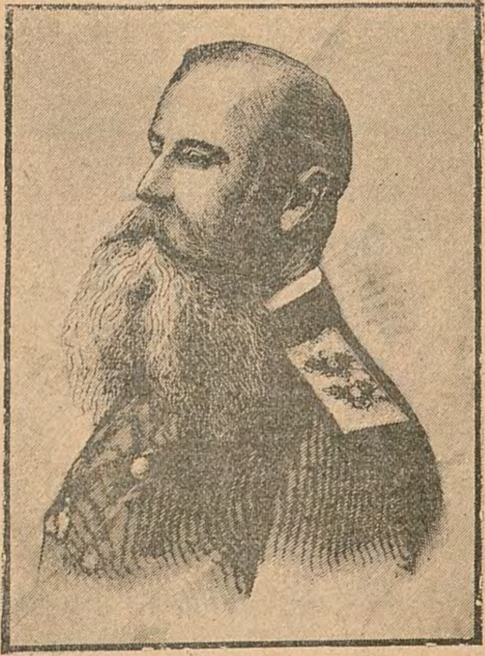

الاميرال ميكاروف

اهم ما جرى من حوادث هذه الحرب في الشهر الماضي ان الاميرال ميكاروف وهو اعظم امراء البحر الروسيين جُعل اميرالاً للاسطول الروسي الذي في بورت آرثر فانعش آمال الروسيين بشجاعتهِ ومهارتهِ وبينما كان ينازل الاسطول الياباني في الثالث عشر من شهر ابريل وهو في البارجة بتروباولسك نُسفت تلك البارجة نسفاً بلغم مستهُ فتشققت ودخلها الماء وابتلعتها اللجج ولم ينجُ احد من الذين كانوا داخلها ولكن الذين كانوا على ظهرها قذفوا في جهات مختلفة من البحر فتمسك بعضهم بقطع من اخشابها وكانت بقية سفن الاسطول قد وقفت فانزلت القوارب وانقذتهم وبينهم الغران دوق سيريل

وكتب الاميرال توجو قائد الاسطول الياباني امام بورت آرثر يقول ما مفادهُ: ان النسافات اليابانية وصلت الى مدخل بورت آرثر في ١٢ ابريل نصف الليل ووضعت فيهِ الالغام تحت الماء ووصل القسم الثالث من الاسطول الياباني الى بورت آرثر الساعة الثامنة صباحاً فخرج الاسطول الروسي لقتالهِ فتقهقر امامهُ رويداً رويداً الى ان اجتذبهُ مسافة ١٥

بلاً جنوبًا بشرق وارسلت السفن اليابانية حينئذٍ رسالة بالتلغراف الذي لا سلك لهُ الى القسم الاول من الاسطول الياباني تخبرهُ بخروج الاسطول الروسي الى عرض البحر فجاء الاسطول الياباني مسرعًا وهاجم الاسطول الروسي فعاد هذا راجعًا الى المينا وبينما هو راجع ست البارجة بتروباولسك لغمًا من الالغام التي وضعها اليابانيون فنسفها واغرقها انتهى · وقد صوّر مصور نسف هذه البارجة ووقوع الناس منها قبل غرقها كما ترى

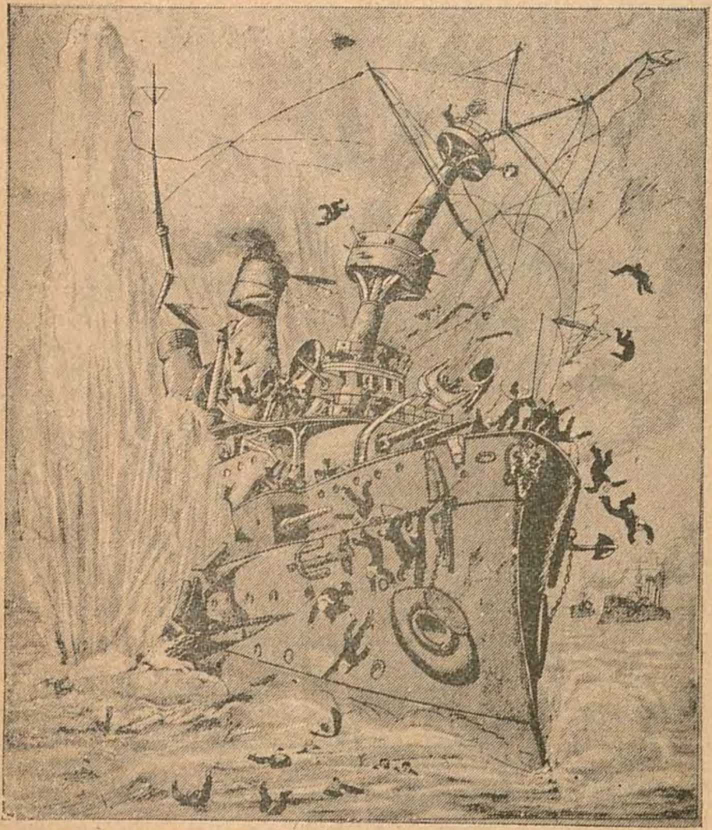

والاميرال ميكاروف كهل ولد سنة ١٨٤٨ وانتظم في سلك البحرية سنة ١٨٦٤ وعيّن قائدًا لاسطول الطربيد في الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧ ورقي الى رتبة فيس اميرال سنة ١٨٩٦ وكان طويل القامة مهوب الطلعة وقد اسف عليهِ الجميع حتى اليابانيون خصومهُ

وعينت روسيا الاميرال سكريدلوف قائدًا لاسطولها في بورت آرثر بدلاً منهُ وهو من نخبة قواد الروس وكان قائدًا لاسطولهم في البحر الاسود

فهرس الجزء الخامس من المجلد التاسع والعشرين

٣٧٧ القطر المصري واللورد كرومر
٣٨٣ فلسفة سبنسر
٣٨٧ الراديوم وتوابعهُ
٣٩١ مذاهب الكتّاب في الحرب
٣٩٣ قوانين يوستنيانوس
للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٤٠٢ خطر علينا وعلى الدين
لرفيق بك العظم
٤١١ هستيريا البصر
للدكتور ابرهيم الصليبي
٤١٧ اللغم والطربيد (مصوَّرة)
٤٢٠ الدين والعامة
لمحمد افندي كرد علي
٤٢٥ الاصقاع القطبية الجنوبية

٤٢٩ باب المراسلة والمناظرة ✲ الجيم الفصحى · خطر علينا وعلى الدين · مثال الكمال · البابية شكوى بريطانيا الى الاكمة ·
٤٣٩ باب الزراعة ✲ دود الحرير واكتشاف جديد · فوائد في زراعة القطن · لماذا ارتفع ثمن القطن
٤٥٠ باب المسائل ✲ الروايات · صرف عمر · فوائد فلسفة سبنسر · اصل الكلب · التعليم تعريب كلمة كتب سبنسر · افيد كتاب · اصل الموز ابواب المقتطف
٥٤٣ باب الاخبار العلمية ✲ وفيهِ ٢٤ نبذة
رواية البوليس السري ملحقة بالمقتطف

الفصل الرابع عشر

مهمة سياسية

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر جلست السيدة املي دشتون في كرسيها الهزاز امام النار نتظر قدوم البرنس سكولوف بقلق زائد وصبر ذاهب ولم تخلُ ظواهر وجهها من لوائح هذا الاهتمام · لان الحصول على عشرة آلاف جنيه لم يكن امرًا سهلاً · على ان رجاء نيل هذا المبلغ اصبح الان اشدّ منهُ قبل الظهر لان سرعة جواب البرنس سكولوف وتلبيتهُ دعوتها بشرتاها بأن عندهُ شيئًا مهمًّا يروم انتدابها لهُ ويودُّ ان يفوض اليها امر قضائهِ · ولايخفى ان مهمات هذا البرنس وان كانت محفوفة بالاخطار والعراقيل كان لمن يقضيها أُجرة تملأ الجيوب وتسر القلوب

وما صارت الساعة الثالثة حتى سمعت قرعًا على باب دارها ثم عقبهُ دخول البرنس سكولوف لم تنهض لاستقبالهِ بل اقتصرت على مد يدها اليهِ فانحنى لتقبيلها بمزيد الاحترام وافتتح الكلام :

— كيف حال صديقتي الجميلة

— اني في قلق لا مزيد عليهِ واروم قضاء شيءٍ — شيءٍ مهمٍّ الى الغاية ولاجلهِ دعوتك الآن

— هكذا ظننت . فما هو المبلغ الذي تحتاجين اليهِ ؟

— عشرة آلاف جنيه

— عجبًا ؟ أهذا كل مطلوبك ؟

– نعم في الوقت الحاضر فهل يمكنني الحصول على هذا المبلغ ؟

— هكذا ارجو · وهو متوقف عليكِ ؟

— مرادك ان عندك شيئًا تروم مني قضاءهُ وهذا المبلغ يكون اجرتي او جزاء سعيي فيهِ · ولكني اروم الحصول على المال يوم الاثنين

— ان فعلتِ ما اريد — ففي الساعة الاولى بعد نصف الليل آتي اليكِ واعطيكِ المطلوب وراقًا مالية او ذهبًا عينًا كما تريدين

— خلِ عنك المزاح يا سكولوف فليس لي عليهِ الآن طاقة · اني في اشد الاحتياج الى لبلغ المذكور

— لستُ مازحًا بل بجدٍّ اتكلم · وقد بلغني ان اللورد ارلنفورد في حاجة الى عشرة الاف جنيه ويأمل انكِ تجدينها لهُ

— أَجدها ؟ انها مبلغ فاحش

— نعم مبلغ فاحش — اعظم مبلغ دفعتهُ جزاء خدمة واحدة

— اظنك تروم مني قضاء شيء مستحيل

— ليس شيءٌ مستحيلاً على سيدة جميلة حاذقة نظيركِ

فرفعت نظرها اليهِ وتفرست فيهِ مليًّا وهي تحدث نفسها وتعللها بادراك المنى وتسهل عليها العقبات التي توقعت عروضها في طريق العمل الذي عزمت على مباشرتهِ طمعًا في نيل الجائزة ثم سألت البرنس : — ماذا تروم مني ؟

فاجابها بكل رصانة : — ايتها السيدة . اني عالم يقينًا انهُ ليس من امرأة انكليزية تستطيع مجاراتكِ في السعي بحزم ودراية . وكثيرًا ما خدمتني في ما يسمى حوادث سياسية ولم استخدمك قط في مانطلق عليهِ اسم عراقيل سياسية . اما الان ففي عزمي ان ادعوك الى مهمة أَعلى شأنًا واجلّ اعتبارًا مما اقدمت عليهِ في الماضي

فسألتهُ مرتابة : — لماذا لاتدعو اليها الشيطانة الجميلة

— فقال لان البارونة التدورف الان في تركيا لاسباب صحية

— لا بأس . اطلعني على مرادك فسأُقدم على قضائهِ كيف كان

— لاريب عندي في انك تقدرين ان اردتِ . لكنهُ شيءٌ اعظم من سرقة رسالة او سلب اقرار ؟ اعيريني سمعك ؟ فانتِ مدعوة هذا المساء لتناول الطعام عند اللورد ارلنفورد لوداع القائد اوبين غودارد وهو سيزايل لندن في قطار الليل المخصوص على طريق دوفر الى فينا ومن ثم الى الاستانة فينبغي ان لا يذهب

— ماذا ؟

— يجب ان يعاق عن السفر

— ومن ذا يعوقهُ ؟

— انتِ

— انا ؟

— نعم

— ابجدّ تطلب هذا ؟

— او بجدٍ تطلبين مني عشرة آلاف جنيه ؟

— اتعرف اوبين غودارد ؟

— اسمع بهِ

— وكيف تتوقع عاقتهُ عن القيام بخدمتهِ ؟

— لو عرفت كيف يتمّ ذلك لكفيت نفسي مؤُونة دفع هذا المبلغ ؟

— اذًا الاولى بي ان أَيأَس من نيلهِ . فان ما ترومهُ مستحيل · وغير خافٍ عليك ان القائد المذكور سيكون مخفورًا بالحراس من حين خروجهِ من بيت ارلنفورد حتى دخولهِ القطار فكيف يمكن توقيفهُ

— لا يمكن ولا انا بطالب ذلك — بل أُريد عاقتهُ الى صباح الغد فقط · لانهُ يهمني تأخير رسائلهِ بضع ساعات · فلسنا في شيء من امر الحراس لان موضوعنا عدم انطلاقهِ في الوقت المعين ليس الاَّ

— اذًا تروم مني منعهُ وحملهُ على البقاء في لندن ؟

— انتِ تعرفينهُ من يوم كنتِ في الهند اليس كذلك ؟

— بلى ولكن كان ذلك من عهد طويل · اما الان فليس لي عليهِ سلطة · فاجابها ناظرًا الى ساعتهِ : — ينبغي ان اذهب ومن الآن الى نصف الليل يتسنَّى لامرأَة نظيركِ ان تقلب مملكة · فراجعي المسأَلة ورددِيها في ذهنكِ وقلبي نظركِ في جميع اطرافها · والساعة العاشرة اكون في بيت ارلنفورد والساعة الحادية عشرة تنصبين مكيدتكِ ايًّا كانت · وعند نصف الليل ينبغي ان يسير قطار البريد بلا رسول المملكة كما ارجو · والساعة الاولى بعد نصف الليل انتظرك لكي ادفع المبلغ المطلوب · فالى اللقاء -- عن قريب

وقبلما تمكنت من النطق بكلمة واحدة خرج البرنس ودوت بهِ مركبتهُ في الشارع فرجعت الى كرسيها واستلقت عليهِ بلا حراكٍ وعيناها شاخصتان في الحائط مقابلها

الفصل الخامس عشر

القائد او بين غودارد

وفي الساعة الثامنة كانت السيدة دشتون في غرفة الاستقبال في بيت اللورد ارلنفورد مقابل النار فدعت اليها الخادم وسأَلتهُ : — اما انتهى امر العشاء بعد ؟

— كلاَّ يا سيدتي فقد تأَخر هذا المساء

— عندما يأْتي شقيقي كرتر دعهُ يدخل الى هنا

- "طيب حاضر"

وبعد بضع دقائق، جاء اخوها فسأَلتهُ بلهفةٍ : — لقد ابطأْت كثيرًا حتى أَشفقتُ انك تتأَخر الى ما بعد العشاء . فقل لي ما وراءَك ؟ هل نجحت مساعيك ؟

— بكل اسفٍ اقول لكِ انهُ تعذر عليَّ الحصول على المطلوب

— فماذا نفعل ؟

— لا اعلم . لم يبقَ عليكِ سوى سكولوف فقد اجتمعت بهِ قبيل العصر ومن حديثهِ علمت انهُ يحتاج اليكِ في قضاء مهمة ذات شأْن واظنكِ شاهدتهِ

— نعم شاهدتهُ

— هل يقدر ان يساعدنا

— نعم إِن —

— هه ! إِن ! إِن ! ياللداهية . كأَنهُ لا بدَّ من "إِن" فبلا ريبٍ تقدرين على امتثال ارادتهِ ويجب ان تمتثلي . فماذ يريد ؟

— انَّ القائد اوبين غودارد يبرح لندن هذه الليلة الى فينا مصحوبًا برسائل

— نعم وما ذا يهمنا سفرهُ ؟

- سكولوف يروم عاقتهُ عن السفر ! هذه هي المهمة .

— لقد ازعجني امر هذا القائد

— اظنُّهُ محبًّا قديمًا لالس ارلنفورد ولذلك يهمك امرهُ كثيرا

حقًّا ! ولماذا ؟

— لانك انضيتَ مطايا جهدك في استمالة السيدة ارلنفورد اليك فاخفق مسعاك ولم تفلح ولن تفلح . وقد مهدتَ لنفسك سبيل الدخول الى بيتها بان اقرضت زوجها مالاً كثيرًا وهوذا أَنتَ الآن في بيتها فماذا انتفعتَ ؟

— ارى في كلامكِ شيئًا من الاستخفاف بي فلماذا ؟

لاني لا ارى منك نفعًا يبعثني على ملاطفتك واحترامك

— يالها من حجة قاطعة ! ولكن الا توجسين — ؟

ثم دخل الخادم واعترض تتمة كلامهِ بقولهِ لهُ ان اللورد ارلنفورد يدعوهُ الى العشاء . فخرج على الاثر . وبعد خروجهِ سأَلت الخادم : — من هنا

فقال مستر سنسناتوس الاميركي وتشارلس مدلتون واختهُ

— وماذا دعا الى تأخير العشاء الى الآن

— انتظار ضيف آخر — من هو

— القائد غود'رد !

وهذه الجملة نطق بها خادم آخر دخل يعلن قدوم القائد المنتظر الذي تبعهُ على الاثر دخل لكنهُ لم ينظر السيدة دشتون فالتفت اليهِ الخادم الذي كان يخاطبها وقال لهُ انهم لايزالون ينتظرون قدومكم لتناول العشاء فاجابهُ غودارد : —

— قل لهم اني انتظرهم هنا

— وانا اكون رفيقتك في الانتظار !

قالت السيدة دشتون هذا ونهضت مقبلةً اليهِ مادَّة يدها واذ نظرها ناداها بمزيد جب والاستغراب

— اهلاً بداشي (ترخيم دشتون) كيف حالكِ ؟ يالكِ من ساحرة فتانة .

— صه ! لسنا الآن في الهند . اذكر انهُ مضى على اجتماعنا في هاتيك الاطراف اكثر من بع سنوات افهمت مرادي ايها القائد غودارد؟

— نعم ايها السيدة دشتون . ولكن مالي اراكِ هنا ؟

— جئتُ زائرةً

— بدعوة مَن ؟

— ماذا يعنيك ؟

— انَّ لي بذا مأربًا يتوقف —

— على مَن ؟

— عليكِ

— او ليس عليك انْتَ

— وعليَّ ايضاً

هذا كلهُ تمَّ بسرعةٍ تضاهي البرق وعقبهُ سكوتٌ قضتهُ السيدة دشتون بالتفرُّس في وجه ودارد ثم قالت لهُ : —

— وماذا تروم معرفتهُ الآن ؟

— اظنك لا تحبين السيدة ارلنفورد بقدر ما تحبين زوجها اليس كذلك ؟

فنهضت على قدم الغيظ والحنق وقالت : —

— لم يعد يمكنني الصبر على هذه الاسئلة · فقل لي صريحًا ماذا يدعوك الى هذا التعريض

— اصغي اليَّ يا داشي · انهُ من الخشونة جرح احساسات امرأة · ويشقُّ عليَّ التعريض بك والتضييق عليكِ · ولكن السيدة ارلنفورد نسيبتي فلا ارى لكِ من حقٍّ في هذا التصرُّف وانتِ هنا في بيتها . واخاف ان تضطرين بسلوككِ هذا الى تنبيهها وحينئذٍ يرجَّح أنها

— تفعل حسب ما يأمرها زوجها — شأن النساء المطيعات — ولكن دعنا من هذا ولننسَ ما حدث متسامحين · واعلم اني لستُ بمطيلةٍ اقامتي هنا وسأُزايل لندن في اقل من شهرٍ · فلا حاجة لك الى القلق والخوف على السيدة ارلنفورد · وليس بخافٍ عليك انهُ يهمني ان اعيش برغدٍ وصفاءٍ على رغم الموانع التي تحول دون تحقق هذه الامنية · وماذا ان أَبت نسيبتك مجيئي الى بيتها وكان زوجها يريد ذلك · على ان اقامتي في لندن قصيرة وبعد رجوعي اليها ساُعدُّ فيها منزلاً فاخرًا يزورني فيهِ اصدقائي الاخصَّاء

— وهل يهتمون بك كثيرًا ؟

— الى الغاية فان احدهم البرنس سكولوف مثلاً حريص جدًّا على اكرامي واحترامي ولذا تجد يختهُ واماكنهُ الخاصَّة في الملاعب والمراقص والمصايف والمتنزَّهات موقوفة على اشارتي · وتراهُ دائبًا في الاجتماع بي هنا في بيت اللورد ارلنفورد بعد ما يفرغ من اعمالهِ الرسمية · و—

ثم اعترض تتمة كلامها دخول السيدة ارلنفورد ومعها ابنة اسمها كتي مدلتون · فلما وقع نظرها على السيدة دشتون حيتها ببرودة وردَّت هذه تحيتها بمثلها · ثم التفتت الى غودارد وقالت : —

اني مسرورة جدًّا برؤيتك ! كأَنَّك غائبٌ منذ وقتٍ طويل · واظنك تعرف كتي مدلتون والسيدة املي دشتون —

فاعترضتها املي وقالت : عرفتهُ من قبل والآن كنَّا نجدِّد عهد الود القديم

فالتفت غودارد الى كتي مدلتون وكانت قد وقفت شاخصةً اليهِ وقال : —

— تعالي يا كتي وقبلي صديقكِ ·

فتقدمت اليهِ وقبَّلتهُ فقالت لها السيدة ارلنفورد : —

— يجب ان تلزمي جانب الرصانة يا كتي قدام الغرباء

فاجابتها ويداها لاتزالان حول عنق غودارد : —

— ان السيدة دشتون لاتروعها قبلة

فقالت هذه وقد كدَّرها هذا المشهد : —

— لاتزالين يا كتي على عهد طيشكِ القديم

فاجابتها كتي : — خلي عنك التوبيخ وحدثيني عن اخطار البرنس سكولوف وجرائمهِ لاني
رُ بذكر كل ذي اسمٍ روسي . فقصّي عليَّ كم اغتال من النفوس واجترح من المحارم

فقالت السيدة ارلنفورد من باب المزاح : — لو سمعكِ البرنس سكولوف لنفاكِ في
طال الى سيبيريا

فسأَل غودارد : — من هذا الروسي ؟

— البرنس سكولوف المعتمد الروسي لا شك انك تعرفهُ

— اعرف عنهُ انهُ ساقط المبادىء من كل وجهٍ — عنيد لا يقهر ومستبدٌ لا يُقيَّد .
بالاجمال يقال انهُ سياسي ذاعت شهرة نجاحهِ في مساعيهِ لانهُ خالٍ من عواطف الحنو
لشفقة . ولقد سمعتكِ تذكرين لهُ شريكةً تلقبينها بالظافرة فمن هي ؟

— الشيطانة الجميلة

— ومن هي الشيطانة الجميلة ؟

فقالت كتي : — حدثينا ايها السيدة دشتون عن الشيطانة الجميلة

ثم جذبتها الى غرفة البليار دو المفصولة عن غرفة الجلوس بستار كثيف . ولما خلت السيدة
رلنفورد بغودارد قالت لهُ : —

— كم رأيت الوقت طويلاً منذ ما ذهبت الى الهند

— وهل تذكرين يوم سفري ؟ لم يخطر ببالي اني ارجع وأَراكِ ناسيةً صديقكِ الاول

— كيف عرفتَ ؟

— كيف عرفتُ اني صديقكِ الاول ؟ لانكِ كنتِ ابنة ثلاث سنين حين اجتمعنا اول مرة

— وكيف عرفت اني نسيتُ ؟ سمعت الجنرال سافيل يشير الى ترقيتك فهل
ذا صحيح ؟

— لا يخلو الامر من الصحة لاني اتوقَّع ذلك والجنرال سافيل يميل اليَّ كثيرًا ولهُ كلمة
سموعة في الدوائر العليا

— ولعلَّ معرفتك للغات الشرقية تعضد السعي في ترقيتك

— نعم ولكن الى درجة محدودة . واذا ساعدتني التقادير فلا بدَّ من نيلِ مبتغاي . وانا في
ذه الليلة مدعوٌّ الى الخروج في رسالةٍ مهمة ومن ورائها انتظر ادراك ما ارجيهِ

— وعلى كلٍّ يشق عليَّ ان اراك ذاهبًا الى افغانستان

— لانكِ لا تشعرين بشدة مللي من منصبي الحالي . لاني لست الآن سوى حامل بريد

— ولكنك معدود رسول جلالة الملكة وما هذا بقليل

— كلاهما واحد · فانا احمل رسائل وكذا يفعل حامل البريد . يسعى كثيرًا ويؤجر قليلاً · وقد عرَض لي مؤخرًا حادث شُغلت بهِ كثيرًا وعزمت على تأثرهِ الى النهاية

— ماذا عسى ان يكون ؟

— عندما كنت في فينا في شهر اوغسطس الماضي ذهبت الى حفلة تنكُّر واذ لم ارَ فيها ما يسرني عزمت على الانصراف واذا بامرأَةٍ كنت اراقبها من قبلُ اسرعت الى الاستغاثة بي من رجل كان يطاردها وطلبت مني ان اسير في حمايتها الى مركبتها · وقد ابدت هذا كلهُ بصوت لطيف لا يشفُّ عن شيء يستدعي الارتياب والحذر من امرها · وبعد ما اوصلتها الى مركبتها صعدت اليها ودعتني الى تناول الطعام في منزل عينتهُ لي على رقعةٍ باسمها بشرط ان اكتم امرها ولا اسأَل احدًا عنها وحينما فارقتني ابدت شكرها لي ودعتني باسمي "القائد اوبين غودارد"

— اذًا عرفتك ! فمن كانت ؟

— بقيت الى هذا الوقت لا اعلم عنها شيئًا · وعندما قرأت اسمها على الرقعة التي اعطتني اياها وهو "البارونة التدورف" كان السائق قد توارى بها عن النظر

— حقًّا ان قصتك هذه عجيبة · وهل ذهبت الى تناول الطعام عندها ؟

— نعم وقد وجدت المكان المعين غاية في الترتيب والاتقان ولما استقبلتني فيهِ رأَيتها في هيئة ساحرة ومن حديثها معي خُيل لي اني اعرفها من عهد طويل

— صِف لي ملامحها · هل كانت جميلة جدًّا ؟

— لا اعلم

— كيف لا تعلم ؟

— لا اعلم هل كانت وفق شروط الجمال · وعندي انهُ يتعذر وصفها على من يراها

— لله درُّك فقد وصفتها من حيث ادعيت بعدم استطاعتك لذلك

— اراكِ تشيرين بهذا الى شيء من غباوتي

— ليس في المحبة شيءٌ من الغباوة في عيني

— المحبة ؟

— نعم المحبة

ثم استولى عليهما سكوتٌ تامٌّ